

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، رضي من عباده بالقليل من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، دعا خلقه إلى دار السلام؛ فعمهم بالدعوة حكمة منه وعدلاً، واختص من شاء بالهداية والتوفيق نعمة منه وفضلاً، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف لها الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، فهدى الله تعالى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وبصر به من العمى، وفتح الله به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، فجزاه الله عنا خير ما جزي به نبياً عن أمته، ورَسُولاً عن دعوته.

وبعد فهذا شرح لطيف لحديث عظيم من أحاديث نَبِيِّنا الكريم ﷺ وهذا الحديث وصية من وصاياه لأحد أصحابه الكرام ﷺ وهو عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ». وكان شرح هذا الحديث عبارة عن دروس ألقيتها في بعض مساجد الدوحة، ثم عن لي أن أجمع هذه الدروس؛ ليعم بها النفع، وتكتمل بها الفائدة، فأسأل الله الكريم أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، أنه خير مسئول وأكرم مأمول، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

سعيد مصطفى محمد دياب

الدوحة في: ٢٥ من ذي الحجة / ١٤٣١ هـ

الموافق: ١ / ١٢ / ٢٠١٠ م

مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^١.

ترجمة عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه:

هُوَ الْإِمَامُ، الْمُفَرِّئُ، أَبُو حَمَّادٍ، عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عَبْسٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِي بْنِ عَمْرٍو بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ مَوْدُوعَةَ بْنِ عَدِي بْنِ غَنَمٍ بْنِ الرِّبْعَةِ بْنِ رَشْدَانَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ جَهينة الجُهَنِيِّ، المِصْرِيِّ، صَاحِبُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: بَلَغَنِي قَدُومُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا فِي غُنَيْمَةٍ لِي، فَرَفَضْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَبَايُكَ، فَقَالَ: «بَيْعَةٌ عَرِيَّةٌ تُرِيدُ أَوْ بَيْعَةٌ هَجْرَةٌ؟» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ، وَأَقَمْتُ، فَقَالَ يَوْمًا: «مَنْ كَانَ هُنَا مِنْ مَعِدٍ فَلْيَقُمْ»، فَقَامَ رِجَالٌ، وَقُمْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لِي: «اجْلِسْ». قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ بِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا مِنْ مَعِدٍ؟ قَالَ: «لَا»، قُلْتُ: بِمَنْ نَحْنُ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ مِنْ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ»^٢.

كَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه عَالِمًا، مُفَرِّئًا، فَصِيحًا، فَقِيهًا، فَرَضِيًّا، شَاعِرًا، كَبِيرَ الشَّانِ.

وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه يَوْمًا: اعْرِضْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا قَرَأَ عُقْبَةُ، بَكَى عُمَرُ رضي الله عنه.

وَكَانَ عُقْبَةُ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، فَعَنَاهُ رضي الله عنه قَالَ: حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعٍ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ حَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ حَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^٣.

١ - رواه أحمد - حديث: ٢١٦٧٥، والترمذي - أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث: ٢٣٨٨،

بسنده صحيح

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٣٩، والأوسط - حديث رقم: ٣٤٥

٣ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلُّمه، حديث رقم: ١٣٧٧

وَكَانَ عُقْبَةُ رضي الله عنه مِنَ الرُّمَّةِ الْمَذْكُورَيْنِ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو الْحَيْرِ مَرْثَدُ الْيَزْيِيِّ، وَجَبْرِ بْنُ نُفَيْرٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ أَسْلَمُ التُّجِيبِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُمَّاسَةَ، وَمِشْرَحُ بْنُ هَاعَانَ، وَأَبُو عُشَّانَةَ حَيُّ بْنُ يُوْمَنَ، وَأَبُو قَيْلٍ الْمَعَاوِيَّيُّ، وَسَعِيدُ الْمُقْبِرِيِّ، وَبَعَجَةُ الْجُهَنِيِّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ.

وَكَانَ عُقْبَةُ رضي الله عنه الْبَرِيدَ إِلَى عَمَرَ رضي الله عنه بِفَتْحِ دِمَشْقَ.

وَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَدَبَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ إِلَى الشَّامِ خَرَجَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَشَهِدَ فُتُوحَ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَشَهِدَ مَعَ مُعَاوِيَةَ صِفِّينَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى مِصْرَ، فَنَزَلَهَا، وَابْتَنَى بِهَا دَارًا، وَتَوَفَّى بِهَا فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَدُفِنَ بِالْمُقَطَّمِ مَقْبَرَةَ أَهْلِ مِصْرَ.

قَالَ عُقْبَةُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ.

وَكَانَ عُقْبَةُ رضي الله عنه مِنْ رُفَعَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَلِيَ إِمْرَةَ مِصْرَ، وَكَانَ يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ.

وَكَانَ يَنْشُدُ فِي ذَلِكَ:

أَسْوَدُ أَعْلَاهَا وَتَأَبَّى أُصُولُ ***** وَلَا حَيْرَ فِي الْأَعْلَى إِذَا فَسَدَ الْأَصْلُ

وَجَمَلَةٌ مَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ: خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ حَدِيثًا، لَهُ مِنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ سَبْعَةٌ عَشَرَ.

وفاته:

عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه سَنَةَ: ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ.^١

١ - أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩)، وأسد الغابة (٣/ ٥٥١)

(حَفْظُ اللِّسَانِ)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النِّجَاةُ؟

سؤال ينبغي على كل عاقل أن يسأله، ما النجاة؟ كيف أنجو غداً بين يدي الله تعالى؟

إنَّ طلب النجاة هو ما أقض مضاجع الصالحين، وأقلق قلوب العابدين، ولهجت به ألسنة الذاكرين، فيارب نسألك النجاة في الدنيا والآخرة.

أولى فوائد هذا الحديث العظيم حرصُ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ على طلب النجاة خصوصاً، وعلى تحصيل الخير عموماً، نعم كان أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ أحرصَ الناس على الخير، وأسرع الناس في تحصيله، كانوا يسألون النَّبِيَّ ﷺ على سبيله وطرق تحصيله فهذا عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بُرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزِدُّهُ لَزَادَنِي»^١.

وهذا سائل يسأل النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَذْوَمُهُ وَإِنْ قَالَ»^٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»^٣.

١ - رواه البخاري- كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها- حديث: ٥١٣، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث: ١٤٧

٢ - رواه مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، حديث: ١٣٤٣، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣ - رواه البخاري- كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث: ١٣٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، حديث: ٤١

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَخُنْ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحْبَبْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتُحُجُّ الْبَيْتَ....»^١

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^٢.

بل كان أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ يسألونه عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يَقَعُوا فِيهِ فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيٍ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجَابَتِهِمْ إِلَيْهَا قَدْ فُتُّوا فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَدْرِكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلَزُّمُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ». قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنَّ تَعْصَى بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^٣.

وهذا عُقْبَةُ بُنِ غَامِرٍ رضي الله عنه يسأل النَّبِيَّ عَنِ النِّجَاةِ وَيُخْبِرُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ سَبِيلِ النِّجَاةِ أُولَاهَا حِفْظُ اللِّسَانِ وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ هَلِ اللِّسَانُ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْخَطَرَةِ حَتَّى يَجْعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ أَسْبَابِ النِّجَاةِ؟ نَقُولُ نَعَمْ فَاللِّسَانُ أَخْطَرُ أَعْضَاءِ ابْنِ آدَمَ، وَلَمْ لَا وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي نِجَاةِ الْعَبْدِ وَسَعَادَتِهِ

١ - رواه أحمد - حديث: ٢١٤٧٢، والترمذي كتاب الإيمان - أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة،

حديث: ٢٦٠٤، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧١

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الرُّهْدِ، باب الرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، حديث رقم: ٤١٠٢، والحاكم في المستدرک - كتاب الرِّقَاقِ، حديث رقم:

٧٨٧٣، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٥٩٧٢، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث: ٣٤٣٠ رواه مسلم - كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم

الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، حديث: ٣٥٢٣

سعادة لا شقاء بعدها وإما أن يكون سبباً في شقاء العبد شقاءً لا سعادة بعده أبداً، لذا حذر النبي ﷺ أصحابه منه، فهذا معاذ بن جبل ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^١.

فاللسان سلاح ذو حدين إذا حفظه صاحبه كان من أعظم أسباب النجاة، ومن أسباب دخول الجنة، وهو أيضاً من أسباب الهلاك فمن أطلق له العنان يرتع به فيما حرم الله؛ كان من أعظم أسباب دخول النار.

حفظ اللسان من أعظم أسباب النجاة:

فمن حفظ لسانه وكبح جماحه، وحفظ فرجه فقد ضمن له النبي ﷺ الجنة ودليل ذلك ما ورد عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^٢.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ اطَّلَعَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؓ وَهُوَ يَمْدُ لِسَانَهُ فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ، إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو ذَرْبَ اللِّسَانِ»^٣.

١ - رواه أحمد - حديث: ٢١٤٧٤، والترمذي - كتاب الإيمان، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث: ٢٦٠٧، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ رقم: ٣٩٧٢، والحاكم في المستدرک - كتاب التفسير، تفسير سورة السَّجْدَةِ، رقم: ٣٥٤٨، تفسير سورة السجدة، حديث: ٣٤٨٣، والنسائي - كتاب قصر الصلاة في السفر، سورة السجدة قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، رقم: ١٠٩٥٢، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، حديث: ٣٩٧١، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١١٩

٣ - رواه أبو يعلى - حديث: ٥، والبيهقي في الشعب، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٢٦

ومعنى ذرب اللسان: حدته وشره وفحشه، وإذا كان الصديق عليه السلام يقول هذا ويفعل هذا بلسانه فما بالنا نحن. وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وصدق والله القائل:

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ***** فالمرء يسلم باللسان ويعطب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ***** ثرثرة في كل نادٍ تخطب

حِفْظُ اللَّسَانِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:

كما أوصى النبي ﷺ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه أوصى غيره من أصحابه رضي الله عنهم؛ فعن أسود بن أسرم المَحَارِبِيُّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: تَمْلِكُ يَدَكَ؟ قُلْتُ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟ قَالَ: تَمْلِكُ لِسَانَكَ؟ قَالَ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي؟ قَالَ: لَا تَبْسُطَ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ، وَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا.^١

وقال لمعاذ رضي الله عنه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَيْنَكَ هَذَا».^٢

وقال الصاحب بن عباد:

حِفْظُ اللَّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ ***** فَاحْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِلْإِحْسَانِ

وقال طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ٨١٧، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٣
٢ - رواه أحمد - حديث: ٢١٤٧٤، والترمذي - باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث: ٢٦٠٧، والنسائي - كتاب قصر الصلاة في السفر، سورة السجدة، قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حديث: ١٠٩٥٢، ابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧١، وصححه الألباني

وقال وهب بن منبه: في حكمة آل داود: (حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه).

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

وقيل: الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه.

وقال يونس بن عبيد: لَيْسَ حَلَّةٌ مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ هِيَ أُخْرَى أَنْ تَكُونَ جَامِعَةً لَأَنْوَاعِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِيهِ مِنْ حِفْظِ اللِّسَانِ.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم.

وقال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله.

وعن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه السلام لقي خنزيراً في طريق فقال له: أنفذ بسلام فقل له: تقول هذا الخنزير! فقال عيسى ابن مريم عليه السلام: إني أخاف أن أعود لساني المنطق السوء.^١

وعن سفيان قال: قالوا لعيسى بن مريم عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا أبدا قالوا: لا نستطيع ذلك! قال: فلا تنطقوا إلا بخير.

صاحب اللسان البذيء من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ ومن أبعدهم عن مجلسه:

فإذا كان اللسان معوجاً، كثير الزلل، شأنه الخطأ، ودأبه الخطل، كان صاحبه من أبغض الناس عند النبي ﷺ وكفى بذلك خزيًا، وكفى بصاحبه خيبة وخسرانًا.

١ - رواه مالك - كتاب الكلام باب ما يكره من الكلام، حديث: ١٧٩٤، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت - باب ما أمر به الناس أن يستعملوا فيه أنفسهم من القول، حديث رقم: ٣٠٥

فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».^١

استقامة اللسان استقامة للجوارح:

وأول دلائل الاستقامة وأعظم مظاهرها وأبهى صورها؛ استقامة اللسان ولم لا؟ واستقامته استقامة للجوارح فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».^٢

فإن قيل فكيف نجمع بين هذا الحديث وما ورد عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».^٣

قلت: لا تعارض بين الحديثين؛ فإن القلب هو ملك الجوارح واللسان رسوله وترجمانه، وبكلامه يستدل على ما في القلب من خير وشر، وإيمان وكفر، وكما قيل المرء محبوبه تحت لسانه.

قال الطيبي: وهذا لا تناقض بينه وبين خبر: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ...». إلى آخره لأن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فإذا أسند إليه الأمر فهو مجاز في الحكم كقولك سقى الطبيب المريض الدواء قال الميداني: المرء بأصغريه قلبه ولسانه أي تقوم معانيه بهما. قال الشاعر:

١ - رواه أحمد حديث: ١٧٤١٧، والترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث:

١٩٩١، بسند صحيح

٢ - رواه الترمذي- كتاب الزهد باب حفظ اللسان، حديث: ٢٣٨٩، ورواه البيهقي- في الشعب، فصل في فضل السكوت عن كل

ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٢٥، بسند حسن

٣ - رواه البخاري- كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث: ٥٢، ورواه مسلم- كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك

الشبهات، حديث: ٣٠٨١

لسان الفتى نصف فؤاده **** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم^١

قال ابن رجب: فأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، بإخلاص القصد لله وإرادته وحده لا شريك له. وأعظم ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة، وصّاه بعد ذلك بحفظ لسانه، وفي "مسند الإمام أحمد" عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»^٢.

ومعنى تُكْفِّرُ اللسان تذلل وتخضع له من قولهم كَفَّرَ اليهودي إذا خضع وطأ رأسه وانحنى لتعظيم صاحبه.

قال الغزالي: المعنى فيه أن نطق اللسان يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان فاللسان أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً وأكثرها فساداً وعدواناً ويؤكد هذا المعنى قول مالك بن دينار رضي الله عنه إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعينك^٣.

١ - فيض القدير (١/ ٢٨٦)

٢ - جامع العلوم والحكم (١/ ٢٠٥)، والحديث رواه أحمد - حديث: ١٢٨١٩، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، باب حفظ اللسان وفضل الصمت حديث: ٩، والبيهقي في الشعب - باب الدليل على أن التصديق بالقلب، حديث: ٨، بسند حسن

٣ - فيض القدير (١/ ٢٨٦)، بتصرف يسير

اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة:

اللسان قد يكون من أعظم أسباب دخول الجنة، إذا حفظه صاحبه من سوء، وجعله رطباً من ذكر الله تعالى؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^١.

اللسان سبب حبوط الأعمال:

واللسان من أعظم أسباب حبوط الأعمال إذا تكلم به صاحبه بشيء مما يحبط العمل الصالح ومن ذلك الشرك بالله تعالى والمن بالعطية قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^٢.

ومن ذلك التآلي على الله فعَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْفُلَانِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِلْفُلَانِ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِلْفُلَانِ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^٣.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَاخِضَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلَنِي وَرَبِّي أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتُ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتُ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلْآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»^٤.

وسياقي لذلك مزيد بيان إن شاء الله عند الحديث عن التآلي على الله تعالى.

١ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١١٩

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٦٤

٣ - رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، حديث: ٤٨٦٠

٤ - رواه أحمد حديث: ٨١٠٦، رواه أبو داود- كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث: ٤٢٧٦، وابن حبان- كتاب

الحظر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، حديث: ٥٧٩٠

اللسان من أعظم أسباب دخول النار:

وكما أن اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة إذا حفظه صاحبه، فإنه كذلك من أعظم أسباب دخول النار إذا لم يقيده صاحبه بأحكام الشرع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^١.

وقد يكون سبب دخول النار كلمة يقولها الإنسان ولا يهتم لها، بل ربما ينساها بعد دقائق، وقد جلبت له شقاء الأبد، وما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، وهذا يبين لنا أهمية الكلمة، ومدى خطر اللسان.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^٢.

لذلك كان أخوف ما يخافه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على المسلم اللسان، ولم لا وهو الذي يَكُتِبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

فَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّخَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: «قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»^٣.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَخُنْ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ».

١ - رواه أحمد - حديث: ٧٧٢٣، ورواه ابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث: ٤٢٤٤، والبخاري في الأدب المفرد - باب حسن الخلق إذا فقهوا، حديث: ٣٠٤

٢ - رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١٢٢، ورواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، حديث: ٥٤١٤

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٥١٤٦، والترمذي - أبواب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث: ٢٣٩٢، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧٠

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمِ جَنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ». قَالَ ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ». قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ». قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُكَ أَتُكُّ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^١.

جناية اللسان على صاحبه:

كثير من الناس لا يقدِّرون اللسانَ حقَّ قدره، ولا يدركون مدى خطره، حتى يصيبهم من بأسه، وينالهم من شره، فيصبح أحدهم عبرة للمعتبرين، وأثرًا في الغابرين، وما جال بخلد طرفه عين أن يكون قتيلاً لسانه، أو أسير بيانه، أو ذليلاً بسبب كلمة خرجت من فمه لم يلق لها بالاً، ولم يعرها التفاتاً، لذا قالوا: (آفة الإنسان في اللسان)، وقالوا أيضاً: (اللسان أجرح جوارح الإنسان)، وقالوا: (القول ينفذ ما لا تنفذ الإبر). لا تنفذ الإبر).

وقال الشاعر:

وَقَدْ يُرْجَى الْجِرْحُ السَّيْفِ بُرَّةٌ وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ ****

وقيل:

جَرَاحَاتُ السِّنَانِ هَا التَّيَامُ وَلَا يَلْتَأَمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ ****

ويروى:

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمِيْلُهُ فَيَبْرَأُ وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ ****

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٢٠١٦، والترمذي - أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلوة،

حديث: ٢٦١٦، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧١

ومن جناية اللسان على صاحبه ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: قُلْتَ طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَقُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَعَمْ إِذَا»^١.

وفي رواية: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ فَهُوَ كَذَلِكَ فَمَاتَ الرَّجُلُ»^٢.

وصدق رسول الله ﷺ عندما علق البلاء بالمنطق فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ»^٣.

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حدث ليعقوب بن السكيت، جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوماً مع المتوكل، وكان يؤدب أولاده، فجاءه المعتز والمؤيد ولدا المتوكل فقال له: يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قبراً خادماً علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنك. فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا به ذلك، فمات. ومن العجب أنه كان قبل ذلك ييسير أنشد لولدي المتوكل وهو يعلمهما:^٤

يصاب الفتى من عشرة بلسانه ***** وليس يصاب المرء من عشرة الرجل

فعرته بالقول تذهب رأسه ***** وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وقيل في المثل: (المَكْثَارُ كَحَاطِبٍ لَيْلٍ). وهو مثلٌ يضرب للذي يتكلم بكل ما يهجس في خاطره. قَالَ أَبُو عبيد: وإنما شبه بحاطب الليل لأنه ربما نَهَشَتْهُ الحية ولدغته العقرب في احتطابه ليلاً، فكذلك المكثار ربما يتكلم بما فيه هلاكه.^٥

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث: ٣٤٤٠

٢ - رواه معمر بن راشد في جامعه - المرض وما يصيب الرجل، حديث: ٩١٩

٣ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه حديث: ٤٧٢٧، والشهاب في مسنده - البلاء

موكل بالمنطق، حديث: ٢١٩

٤ - حياة الحيوان الكبرى (٩٩ / ٢)

٥ - مجمع الأمثال (٣٠٤ / ٢)

وقال الشافعي:

احفظْ لسانَكَ أيها الإنسانُ **** لا يقتلنكَ إنه ثعبانُ

كم في المقابر من قتيلٍ لسانه **** كانت تخافُ لقاءه الأقرانُ

ومن جناية اللسان على صاحبه ما ثبت عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، قَالَ فَتَادَهُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ»^١.

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حكاه أبو بكر الخطيب البغدادي عن صالح بن عبد القدوس الأزدي، وكان يعلن في البصرة مذهبه في الثنوية. ويقال: إن أبا الهذيل العلاف المتكلم ناظره فقطعه، ثم قال له: على أي شيء تعزم يا صالح؟

فقال: أستخير الله وأومن بالاثنتين. ولما علم بأن ديوان الزنادقة يرصده هرب إلى دمشق؛ فطلبه المهدي وزجَّ به في سجن تلك الفئة الباغية، حتى يحاكم، فقال في سجنه:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها **** فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث: ٣٣٠١، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن

كثر قتله، حديث: ٥٠٧٤

قُبِرْنَا ولم ندفن فنحن بمعزل ***** من الناس لا نُخْشَى فنُعْشَى ولا نَعْشَى

وقيل: إنه صلى صلاة تامة الركوع والسجود؛ فقليل له: ما هذا ومذهبك معروف: قال سُنَّةُ البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد. وأحضر للمحاكمة بحضرة المهدي الخليفة فنوظر فيما أُثِّمَ به من الزندقة؛ فأظهر التوبة، فقال له المهدي أَلَسْتَ القائل في حفظك ما أنت عليه:

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَأَنِّي ***** أَخْرَسٌ أَوْ ثَنَى لِسَانِي حَبْلٌ

ولو أَنِّي أَبَدَيْتُ لِلنَّاسِ عِلْمِي ***** لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلٌ

قال: فَإِنِّي أَتُوبُ وَأَرْجِعُ، فقال له المهدي: هيهات! أَلَسْتَ القائل:

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ ***** حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ

إِذَا ارْغَوَى عَادَ إِلَى جِهْلِهِ ***** كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ

ثم قُدِّمَ، فقتل وصلب على الجسر ببغداد.^١

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ اخْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَأَعْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْجِهِ خَرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَعْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ».^٢

ومن جنابة اللسان على صاحبه، ما حُكِيَ عن أبي الطيب المتنبي أَنَّهُ لما وفد علي عَضُدِ الدولة، وَصَلَهُ بثلاثة آلاف دينار، وثلاثة أفراسٍ مُسَرَّجَةٍ مُحَلَاةٍ، وثياب مُفْتَحَرَةٍ، ثم دَسَّ عليه من سَأَلَهُ: أين هذا العطاء

١ - انظر في أخبار صالح أمالي المرتضي (١ / ١٤٤)، وما بعدها، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩ / ٣٠٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣ / ٣٤٧)

٢ - رواه أبو داود - كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ فِي الْمَجْرُوحِ يَتَيَمَّمُ، حديث: ٣٣٦، وابن ماجه - كِتَابُ الطَّهَارَةِ وَسُنَنُهَا، بَابُ فِي الْمَجْرُوحِ تُصَيِّبُهُ الْجُنَابَةُ، فَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ اغْتَسَلَ، حديث: ٥٧٢، بسند حسن

من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أَجْزَلُ إِلَّا أَنَّهُ عَطَاءٌ مُتَكَلِّفٌ، وسيف الدولة كان يُعْطَى طَبْعًا، فغضب عَضُدُ الدولة، فلما انصرف جَهَّزَ عليه قومًا من بني ضَبَّةَ، فقتلوه بعد أن قاتل قتالًا شديدًا، ثم أَنُحِزَ، فقال له غلامه: أين قولك:

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ***** والحربُ والضَرْبُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ

فقال: قتلني قاتلك الله، ثم قاتل حتى قُتِلَ^١.

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حكاه أبو عبيد من سبب قولهم: (مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَاوُدَ أَجْمَعًا).

وسبب هذا المثل أن سالم بن دارة - أحد بني عبد الله بن غطفان - كان قد هجا رجلًا من بني فزارة، يقال له: زُمَيْلٌ، وبالع في هجائه، فاغتاله الفزاري حتى ضربه بالسيف.

ثم قال القاتل:

أَنَا زُمَيْلٌ مِنْ بَنِي فَزَارِهِ ***** أَنَا زُمَيْلٌ قَاتِلُ ابْنِ دَاوُدَ
ثُمَّ جَعَلْتُ عَقْلَهُ الْبَكَارَهُ *****

ولما عوتب في فتكه به وقتله قال:

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ ***** مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَاوُدَ أَجْمَعًا

ولما قيل له ويحك يا زُمَيْلُ لِمَ قَتَلْتَ سَالِمًا؟

قال أحرقتني بالهجاء.

١ - تاريخ الإسلام للذهبي (١٠٥ / ٢٦)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ)

من أعظم آفات اللسان خطراً على صاحبها آفة القول على الله تعالى بِغَيْرِ عِلْمٍ، ومن كانت فيه هذه الآفة لا يفلح أبداً ومن كانت فيه هذه الآفات فهو أظلم الناس على الإطلاق، ومن كانت فيه هذه الآفة كان مرتكباً لأعظم المحرمات، فإن القول على الله تعالى بِغَيْرِ عِلْمٍ أعظم المحرمات على الإطلاق، فإن الله تعالى جعله أعظم من الشرك بالله تعالى.

الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّيْطَانِ:

القول على الله تعالى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ أَبْلِيسَ، ومن أَوَّلَى مَسَاعِيهِ لِإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^١.

قال ابن كثير قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ عَدُوُّكُمْ الشَّيْطَانُ بِالْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ، وَأَعْلَظُ مِنْهَا الْفَاحِشَةُ كَالزَّانَا وَنَحْوِهِ، وَأَعْلَظُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَا عِلْمَ، فَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ كَافِرٍ وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ أَيْضًا.^٢

قال ابن جرير: وَالسُّوءُ: الْإِثْمُ مِثْلُ الضَّرِّ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَاءَكَ هَذَا الْأَمْرُ يَسُوءُكَ سُوءًا، وَهُوَ مَا يَسُوءُ الْفَاعِلَ. وَأَمَّا الْفَحْشَاءُ: فَهِيَ مَصْدَرٌ مِثْلُ السَّرَّاءِ، وَالضَّرَّاءِ، وَهِيَ كُلُّ مَا اسْتَفْحَشَ ذِكْرُهُ، وَقَبَحَ مَسْمُوعُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ السُّوءَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ هُوَ مَعَاصِي اللَّهِ؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا سَمَّاها اللَّهُ سُوءًا؛ لِأَنَّهَا تَسُوءُ صَاحِبَهَا بِسُوءِ عَاقِبَتِهَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَقِيلَ: إِنَّ الْفَحْشَاءَ: الزَّانَا؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا يُسَمَّى لِقُبْحِ مَسْمُوعِهِ وَمَكْرُوهِهِ مَا يُذَكَّرُ بِهِ فَاعِلُهُ.^٣

١ - سورة البقرة: الآية / ١٦٨، ١٦٩

٢ - تفسير ابن كثير (١ / ٤٧٩)

٣ - تفسير الطبري (٣ / ٤٠)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^١.

الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ أَعْظَمَ مُحَرَّمَاتٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أصول المحرمات فبدأ بأقلها حرمة فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، وهذه تشمل الزنا واللواط وما شابهها من الفواحش، ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وهو وأقبح أثراً، وهو الإثم والظلم ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وذلك لأن ضرر البغي متعدد إلى الغير وأثره أعظم من أثر الفواحش، ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وأقبح أثراً، وهو الشرك بالله تعالى: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وأقبح أثراً، وهو القول على الله تعالى بغير علم: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فالقول على الله تعالى بغير علم أخطر من الشرك بالله تعالى وذلك لأن مفسدة القول على الله تعالى بغير علم أعظم من مفسدة الشرك بالله تعالى فإن الشرك ضرره قاصر على صاحبه أما القول على الله تعالى بغير علم فإن ضرره متعدد وإن شئت فانظر إلى ما أحدثه مسيلمة الكذاب من الفتنة عندما ادعى النبوة فضل بقوله فثام عظيمة من الناس، ولا شك أن من ضل في نفسه أقل شراً وأثراً وإثماً ممن ضل في نفسه وأضل غيره، وقد بين ذلك القرآن أعظم بيان قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٣.

١ - سورة الإسراء: الآية / ٣٦

٢ - سورة الأعراف: الآية / ٣٣

٣ - سورة العنكبوت: الآية ١٢، ١٣

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، فحصر التحريم في هذه الأربعة، فإنها محرمة في كل ملة، لا تباح بحال إلا عند الضرورة، وبدأ بالأخف تحريمًا ثم بما هو أشد منه، فإن تحريم الميتة دون تحريم الدم فإنه أخبث منها، ولحم الخنزير أخبث منهما، وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ أخبث الأربعة.

ونظير هذا قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فبدأ بالأسهل تحريمًا ثم ما هو أشد منه إلى أن ختم بأغلظ المحرمات وهو القول عليه بلا علم فما أهل به لغير الله في الدرجة الرابعة من المحرمات.^١

قال الإمام عبد الرحمن بن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عامٌّ في تحريم القول في الدين من غير يقين).

من قال على الله تعالى بغير علم لا يفلح أبدًا:

القول على الله تعالى بغير علم افتراء على الله تعالى ومن افترى على الله تعالى فلا يفلح أبدًا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.^٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.^٣

من قال على الله تعالى بغير علم فلا أظلم منه:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.^٤

١ - أحكام أهل الذمة (١/ ٥٢٨)

٢ - سورة يونس: الآية/ ٦٩، ٧٠

٣ - سورة النحل: الآية/ ١١٦، ١١٧

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ١٠.

٤ - سورة الأنعام: الآية/ ٢١

١ - سورة هود: الآية/ ١٨

صُورُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ

مِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ (الْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ):

مِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ، الْإِفْتَاءُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَهُوَ أَنْ يَسْأَلَ إِنْسَانٌ عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَيَجِيبُ بِالتَّحْلِيلِ أَوْ التَّحْرِيمِ بِلَا مُسْتَدٍّ لَهُ وَلَا بَيِّنَةٍ وَلَا دَلِيلٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا سُئِلَ عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا رَدَّهُ إِلَى أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ، وَلَا يَجِدُ غَضَاضَةً فِي أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ كَادَتْ إِجَابَتُهُ أَنْ تَسْبِقَ سُؤَالَ السَّائِلِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ، وَلَا مَنْ يَنْتَمِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِصَلَةِ، وَإِذَا عَوَّتْ عَلَى ذَلِكَ غَضَبٌ أَشَدَّ الْغَضَبِ، وَكَأَنَّ الْكَلَامَ فِي الدِّينِ كَلَامٌ مُبَاحًا، وَقَدْ حَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^٢.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٣.

١ - سورة النحل: الآية/ ١١٦

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٣٦

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ٩٣، ٩٤

أَثَرُ الْإِفْتَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ:

ولا يدري الذي يفتي بغير علم أنه قد يحرم ما أحل الله تعالى، أو يحرم ما أحله الله تعالى، فيبيح الفروج المحرمة، أو يهدم بيوتاً قائمة، ويفرق بين المرء وأهله، وقد يتشرد بسبب فتياه الأبناء، إذا كانت الفتيا متعلقة بمسائل الطلاق، أو الرضاع أو غير ذلك، ولا يدري أنه ربما قتل بفتياه وهو لا يشعر، بل ربما يظن أنه يحسن صنعا، وسأذكر على ذلك مثالين يستبين منهما خطر الفتوى التي بنيت على الجهل.

المثال الأول: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَمَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ نَجِدُونَ لِي رُحْصَةً فِي التَّيْمَمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُحْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَأَعْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَّا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ»^١.

والشاهد هو قول النبي ﷺ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ». فإنه نسب لهم القتل لما كانت الفتوى سبب القتل.

المثال الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَا سَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَاَنْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيْتِهَمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^٢.

١ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب في المجرع يتيمم، حديث رقم: ٢٨٨، وابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها، أبواب التيمم،

باب في المجرع تصيبه الجنابة، حديث رقم: ٥٦٩، بسند حسن، والحاكم في المستدرک، حديث: ٥٨٢، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣٠١، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل

وإن كثر قتله، حديث رقم: ٥٠٧٤

والشاهد في الحديث قول النبي ﷺ: «فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً». فهذا الراهب إنما قتله جهله، لما أفتى بغير علم كان هو أول ضحايا فتواه.

قال صاحب مرقاة المفاتيح: فيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب؛ لأنه كان من حقه التحرز من اجتراء على القتل حتى صار له عادة، بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعارض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.^١

قال ابن المعتز:

يَارِبُّ أَلْسِنَةٍ كَالسِّيُوفِ ***** تَقْطَعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا

وَكَمْ دُهِيَ الْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ ***** فَلَا تُؤْكَلَنَّ بِأَنْيَابِهَا

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْلَأَ أَلْوَاحِي مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ: لَا أَدْرِي، لَفَعَلْتُ.^٢

وَقَالَ مَالِكٌ: جُنَّةُ الْعَالِمِ: "لَا أَدْرِي"، فَإِذَا أَغْفَلَهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

مِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (تحريف كلام الله تعالى):

وَمِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ، نِسْبَةُ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا أَكْثَرُ مَا وَجَدَ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالتَّحْرِيفِ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ:

١ - مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح (٤٧ / ٨)

٢ - سير أعلام النبلاء (١٨٥ / ٧)

الأول: نسبة كلامٍ لم يقله الله تعالى إليه:

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^١.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^٢.

الثاني: لِيُ اللسانِ بالكلام لإيهام السامع أنه كلام الله وهو ليس من كلام الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾^٤.

الثالث تأويل كلام الله تعالى وصرفه عن حقيقته بغير دليل:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^٥.

مِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (تفسير القرآن بالرأي والهوى):

وَمِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ تفسير القرآن بالرأي والهوى، فعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^٦.

١ - سورة البقرة: الآية / ٧٩

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٢١

٣ - سورة آل عمران: الآية / ٧٨

٤ - سورة النساء: الآية / ٤٦

٥ - سورة آل عمران: الآية / ٧

٦ - رواه أحمد حديث: ٢٠١٤، والترمذي - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه

حديث: ٢٩٥١، بسند ضعيف

وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَحْطَأَ»^١.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَكَذَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي هَذَا فِي أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ وَهُمْ أَصَاطِينُ الْبَلَاغَةِ، وَأَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ، وَشَاهِدُوا التَّنْزِيلَ، وَصَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَتْ الْعُلُومُ عَنْدهُمْ سَجِيَّةً، وَالْأَفْهَامُ صَحِيحَةً، وَالْعُقُولُ سَوِيَّةً، وَاللِّسَانُ مُسْتَقِيمًا لَمْ تَخَالِطَهُ عَجْمَةٌ، بَلْ لَوْ حَاوَلَ أَحَدُهُم الْخَطَأَ مَا اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَاسْتَمَعَ إِلَى مَا رَوَاهُ أَهْلُ الْبَلَاغَةِ وَالْأَدَبِ مِمَّا جَرَى بَيْنَ سَيَبُوهِ وَالْكَسَائِيِّ فِي ذَلِكَ، وَرَدَ سَيَبُوهُ بِغَدَادٍ عَلَى يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ، فَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَسَائِيِّ لِلْمُنَازَعَةِ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَقُولُ: قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدَّ لَسْعَةً مِنَ الزَّنْبُورِ؛ فَإِذَا هُوَ هِيَ؛ أَوْ هُوَ إِيَّاهَا؟ فَقَالَ سَيَبُوهُ: فَإِذَا هُوَ هِيَ، وَلَا يَجُوزُ النَّصْبُ، فَقَالَ الْكَسَائِيُّ: أَخْطَأْتُ! الْعَرَبُ تَرْفَعُ ذَلِكَ وَتَنْصِبُهُ، وَجَعَلَ يُورِدُ عَلَيْهِ أَمْثَلَةً؛ مِنْ ذَلِكَ: خَرَجْتُ إِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ أَوْ قَائِمًا، وَسَيَبُوهُ يَمْنَعُ النَّصْبَ، فَقَالَ يَحْيَى: قَدْ اخْتَلَفْتُمَا، وَأَنْتُمَا رَئِيسَا بَلَدَيْكُمَا، فَمَنْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمَا؟ فَقَالَ الْكَسَائِيُّ: هَذِهِ الْعَرَبُ بِيَابُكَ قَدْ وَفَدُوا عَلَيْكَ؛ وَهُمْ فَصَحَاءُ النَّاسِ؛ فَاسْأَلْهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَنْصَفْتُ، وَأَحْضَرُوا فَسْأَلُوا، فَاتَّبَعُوا الْكَسَائِيَّ، فَاسْتَكَانَ سَيَبُوهُ، وَقَالَ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ، سَأَلْتُكَ إِلَّا مَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَنْطَقُوا بِذَلِكَ؛ فَإِنْ أَلَسْنَتْهُمْ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانُوا إِنَّمَا قَالُوا: الصَّوَابُ مَا قَالَهُ هَذَا الشَّيْخُ؛ فَقَالَ الْكَسَائِيُّ لِيَحْيَى: أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ! إِنَّهُ قَدْ وَفَدَ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِهِ مَوْمَلًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَرُدَّهُ خَائِبًا! فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ؛ فَخَرَجَ إِلَى فَارَسٍ^٢.

وَالشَّاهِدُ فِي الْقِصَّةِ قَوْلُ سَيَبُوهِ لِيَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ أَيُّهَا الْوَزِيرُ: (سَأَلْتُكَ إِلَّا مَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَنْطَقُوا بِذَلِكَ؛ فَإِنْ أَلَسْنَتْهُمْ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ) لِأَنَّهُمْ عَرَبٌ خُلِصَ وَمِنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ كَانَ لِمُعَانِي الْقُرْآنِ أَعْرَفُ،

١ - رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ الْكَلَامِ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، حَدِيثٌ: ٣١٨٥، وَالتِّرْمِذِيُّ، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَابُ مَا جَاءَ فِي الَّذِي يَفْسِرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، حَدِيثٌ: ٢٩٥٣، بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ

٢ - بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللَّغَوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ (٢/ ١٣٠)

وبتفسيره أعلم، ومع ذلك لا يجوز لهؤلاء أن يفسر أحدهم القرآن برأيه، فضلاً عما بعدهم ممن قل علمهم، واعوجت بالعجمي ألسنتهم، وما عاصروا التنزيل، وفاتهم معرفة أسباب النزول.

ولقد كان السلف عليهم رضوان الله من أشد الناس تحرجاً في تفسير القرآن، مع غزارة علمهم، وجودة قرائحهم، واستقامة لغتهم، فعن إبراهيم التيمي؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾^١.

فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾^٢.

فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا هو التكلف يا عمر.

وعن ابن أبي ثعلبة: أن ابن عباس رضي الله عنه سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجل عبد الله بن عباس عن: ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^٣.

فقال له عبد الله بن عباس: فما ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟^٤

فقال له الرجل: إنما سألتك لتحديثي. فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وعن الوليد بن مسلم، قال: جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله رضي الله عنه فسأله عن آية من القرآن؟ فقال: أخرج عليك إن كنت مسلماً إلا ما قمت عني، أو قال: أن تجالسني.

١ - سورة عبس: الآية / ٣١

٢ - سورة عبس: الآية / ٣١

٣ - سورة السجدة: الآية / ٥

٤ - سورة المعارج: الآية / ٤

وروى مالك عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئاً.

وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن. وعن يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع.

وقال عبيد الله بن عمر: لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

وقال هشام بن عروة: ما سمعت أبي تأوّل آية من كتاب الله قط.

وقال مسروق: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها، الواردة عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً، فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^١.

مِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (ادعاء النبوة):

وَمِنْ صُورِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: ﴿أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، وهذه الصورة أعظم صور القول على الله، وأشدّها خطراً، وأبعدها في الضلالة أثراً، ولا يفعل ذلك إلا من طمّث الله على بصيرته، وأعمى قلبه، لذا توعدّه الله تعالى بالخسران في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^١.

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْكَذِبُ):

من آفات اللسان الخطيرة، ومن شروره المستطيرة الكذب، وهو من أقبح هذه الآفات على صاحبه، ومن أسوأها أثراً، وأشدّها خطراً، ولم لا؟ والكذب أقرب طريق إلى النار، وهو شعبة من شعب النفاق، بل النفاق أثر من آثاره، وهو سبب محق البركة، وعلامة ذهاب الإيمان، وسبب الريبة والاضطراب.

حَدُّ الْكَذِبِ:

إذا كان الصدق هو مطابقة الكلام للواقع، فإن الكذب هو مخالفة الكلام للواقع، وإن شئت فقل مخالفة السر للعلانية.

أنواع الكذب:

الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى:

أقبح أنواع الكذب على الإطلاق الكذب على الله تعالى، وتقدم الحديث عنه عند الكلام على آفة القول على الله بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^١.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^٢.

الْكَذِبُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

١ - سورة الأنعام: الآية / ٢١

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٩٣

وأشنع أنواع الكذب بعد الكذب على الله تعالى، الكذب على النبي ﷺ وقد توعد النبي ﷺ صاحبه بالنار، وسخط الجبار، وذلك لأن الذي يتعمد الكذب على النبي ﷺ يؤدي إلى تبديل دين الله تعالى، وتغيير شرعه، ويؤذن قبيح فعله، وسوء عمله، بانسلاخه من الدين، وسوء معتقده، نسأل الله العفو والعافية.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ».^١
وَعَنْ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مِّنْ كَذَبِ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».^٢
الْكَذِبُ عَلَى النَّاسِ:

النوع الثالث من أنواع الكذب، الكذب على الناس، ومع أنه أقل أنواع الكذب خطرًا، وأخفها على صاحبه أثرًا إلا إنه من الكبائر، ومناف للإيمان، وسبب محق البركة، وعلامة من علامات النفاق، وأقرب الطرق للنار، وسبب الريبة والاضطراب، ومن اتصف به كان أبعد الناس عن الهداية، وأقربهم إلى الغواية.

أثر الكذب:

الْكَذِبُ سَبَبُ مَحْقِ الْبَرَكَةِ:

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».^٣

١ - رواه البخاري- كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث: ١٠٥، ومسلم- باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ حديث: ٢

٢ - رواه البخاري- كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث: ١٢٤٢، ومسلم- باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، حديث: ٥

٣ - رواه البخاري- كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، حديث: ١٩٨٩، ومسلم- كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، حديث: ٢٩٠٤

الْكَذِبُ رِيَّةٌ:

عن أبي الحوراء السعدي قال قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال حفظت من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَئِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ»^١.
وسبب الريَّة أن آفة الكذاب نسيان كذبه؛ لذلك يظل متخوفاً من أن يفتضح أمره، ويطلع الناس على كذبه، وسوء فعله.

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل ***** لدى الناس كذاباً وإن كان صادقاً

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ***** وتلقاه ذا ذهن إذا كان حاذقاً

الْكَذِبُ مُسْتَقْبَحٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ:

من مساوئ الكذب وقبحه أنه مذموم في سائر الشرائع، ومستقبح عند كل صاحب عقل، ويستنكف منه البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ودليل ذلك ما حكاه أبو سفيان ابن حرب رضي الله عنه عما جرى قبل إسلامه بينه وبين هرقل فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشَّام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآدٍ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإبلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا لترجمانه فقال: «أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقرهم نسباً فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذباً لكذبت عنه.....»^٢.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٦٧٥، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب حديث: ٢٥٠٢، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري، باب بدء الوحي، حديث: ٧، ومسلم - كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى...، حديث: ٣٤٠٩

وروى ابن عساكر أن سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ فقال: ابن أبي. قال: كذبت هو علي، قال: أنا أكذب؟ لا أبا لك والله لو نادى مناد من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي.^١

وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً للأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد حدثه: أتكذب؟ قال: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين.

الْكَذِبُ قَرِينُ الْفُجُورِ:

من قبح الكذب وشؤمه على صاحبه أنه قرين الفجور، والوسيلة إليه، والسبيل الموصل إليه، كما أن الفجور هو السبيل إلى النار.

عن أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي أنه سمع أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ عام الأول مقامي هذا ثم بكى ثم قال: عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار وسلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين شيئاً خيراً من المعافاة ثم قال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً.^٢

تَرْكُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ:

إذا ترك العبد الكذب لله تعالى، ولم يخلف إذا وعد، ولم يخن إذا أتمن، وغض بصره وحسن فرجه وكف عن الناس شره - نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يتصف بذلك - فقد ضمن له النبي ﷺ الجنة.

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥ / ٣٧١)

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث: ٣٨٤٧، وأبو يعلى حديث: ١١٥، بسند صحيح

فَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَكْفُلُوا لِي بِسِتِّ أَتَكْفُلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ، إِذَا حَدَّثْتُمْ فَلَا تَكْذِبُوا، وَإِذَا وَعَدْتُمْ فَلَا تُخْلِفُوا، وَإِذَا ائْتَمَنْتُمْ فَلَا تَخُونُوا، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^١.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اضْمَنْتُ لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اؤْتَمَنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^٢.

الْكَذَّابُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْهَدَايَةِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^٣.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عُلُوِّ شَأْنِ مُوسَى ﷺ وَأَنَّ مِنْ اصْطِفَاةِ اللَّهِ لِلنَّبِوةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ إِسْرَافٌ وَلَا كَذِبٌ، وَفِيهِ تَعْرِيزٌ بِفِرْعَوْنَ، إِذْ هُوَ غَايَةُ الْإِسْرَافِ عَلَى نَفْسِهِ بِقَتْلِ أَبْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي غَايَةِ الْكَذِبِ، إِذْ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ وَالرَّبُّوبِيَّةَ، وَمِنْ هَذَا شَأْنُهُ لَا يَهْدِيهِ اللَّهُ^٤.

وَيَكْفِي فِي مَعْرِةِ الْكَذِبِ أَنْ مَنْ عَرَفَ بِهِ مُقِتَ إِذَا نَطَقَ وَكُذِّبَ وَإِنْ صَدَقَ.

١ - رواه القطاعي في مسند الشهاب - من أصاب مالا من نھاوش أذهبہ الله في نھابر، حديث: ٤٢٣

٢ - رواه أحمد حديث: ٢٢١٦٦، والبيهقي في السنن كتاب الوديعة، باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات، حديث:

١١٨٧٤، وشعب الإيمان، باب في حفظ اللسان حديث: ٤٥٩٩، بسند صحيح

٣ - سورة غافر: الآية/ ٢٨

٤ - تفسير البحر المحیط (٧/ ٤٤٢)

الْكَذِبُ عِلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا حَاصِمٌ فَجَرَ»^١.

رَوَى مَالِكٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّكُنُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيُّكُنُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيُّكُنُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا فَقَالَ لَا»^٢.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُطْبِعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»^٣.

النِّفَاقُ أَثَرٌ مِنَ آثَارِ الْكَذِبِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^٤.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^٥.

١ - رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث: ٣٣، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث: ١١٣

٢ - رواه مالك - كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، حديث: ١٨٠٥، والبيهقي في الشعب باب في حفظ اللسان، حديث: ٤٦٠٧

٣ - رواه البيهقي - كتاب الشهادات، باب: من كان منكشف الكذب مظهره غير مستتر به، حديث: ١٩٣٧٧، ورواه أحمد حديث: ٢١٦١٨، عن أبي أمامة رضي الله عنه

٤ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث: ٣٣، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث: ١١٤

٥ - سورة التوبة: الآيات / ٧٥ - ٧٧

فانظر يرحمك الله كيف صار النفاق أثرا من آثار الكذب، ونتيجة مترتبة عليه، لشدة خطره، وقبح أثره، فسأل الله تعالى السلامة من الكذب، والنجاة من شر ألسنتنا.

الْكَذِبُ يَنَافِي الْإِيمَانَ:

ويكفي في ذم الكذب نفي الإيمان عن الكذابين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^١.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»^٢.

وعن محمد بن أبي بكر بن حزم، أنه بلغهم عن رسول الله ﷺ أنه قيل يا رسول الله هل يكون المؤمن شحيحاً، فقال: «نعم» فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن سيئ الخلق؟ قال: «نعم»، فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم»، فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن كذاباً؟ قال: «لا»^٣.

الْكَذِبُ أَقْرَبُ طَرِيقٍ إِلَى النَّارِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^٤.

تَعَمُّدُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْبَرِخِ:

عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا قَالَ فَيَقْصُصُ عَلَيْهِ مِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَصَ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِيهُمَا ابْتَعَثَانِي

١ - سورة النحل: الآية/ ١٠٥

٢ - رواه البيهقي - كتاب الشهادات، باب من كان منكشف الكذب مظهره غير مستتر به، حديث: ١٩٣٧٧

٣ - رواه ابن وهب في جامعه - كتاب الصمت، باب العزلة، حديث: ٥٠٩، بسند منقطع.

٤ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، حديث: ٥٧٤٩، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله - حديث: ٤٨٢٨، واللفظ له.

وَأَيُّهَا قَالَا لِي انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْلُغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدَّدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ لهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّتِي وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْحَرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ قَالَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ قَالَ فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ غُرَاءُ وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا قَالَ قُلْتُ لهُمَا مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَخْمَرٍ مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِغٌ يَسْبِغُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِغُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْعَرُّ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَّ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ قُلْتُ لهُمَا مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْأَةِ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَى رَجُلًا مَرَأَةً وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يُحْشِشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا قَالَ قُلْتُ لهُمَا مَا هَذَا قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُ قَالَ قُلْتُ لهُمَا مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ قَالَ قَالَا لِي ارْزُقْ فِيهَا قَالَ فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَأَتَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ وَلَبَنِ فِضَّةٍ فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فُتِّحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرُ مَنْ خَلَقَهُمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَى وَشَطْرُ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَى قَالَ قَالَا لَهُمْ اذْهَبُوا فَفَعَلُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ قَالَ وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةٌ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ فَسَمَا بَصَرِي صُعْدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَ قَالَا لِي هَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ قُلْتُ لهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخَلَهُ قَالَا أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ

دَاخِلَهُ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ قَالَ قَالَا لِي أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ
أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَثْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ
الْمَكْتُوبَةِ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ
يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعَرَاءُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنَوُّرِ فَإِنَّهُمْ
الرُّنَاةُ وَالزَّوَانِي الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ أَكَلُ الرِّبَا وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ
الْمَرْأَةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنِ جَهَنَّمَ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوْضَةِ
فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فِكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرَ مِنْهُمْ حَسَنًا
وَشَطْرَ قَبِيحًا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَحَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»^١.

والشاهد من الحديث قول النبي ﷺ: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ
إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ».

قال ابن حجر رحمه الله: وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ التَّعْذِيبَ لِمَا يَنْشَأُ عَنْ تِلْكَ الْكَذْبَةِ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَهُوَ فِيهَا
مُخْتَارٌ غَيْرُ مُكْرَهٍ وَلَا مُلْجَأٍ. قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ: لَمَّا كَانَ الْكَاذِبُ يُسَاعِدُ أَنْفَهُ وَعَيْنُهُ لِسَانَهُ عَلَى الْكَذِبِ
بِتَرْوِيجٍ بَاطِلِهِ وَقَعَتْ الْمُشَارَكَةُ بَيْنَهُمْ فِي الْعُقُوبَةِ.^٢

وليس هذا العذاب لشخص من الناس بعينه، بل هذا العذاب لكل من اتصف بهذه الصفة القبيحة
وهي كثرة الكذب والمبالغة فيه، ولو لم يحدث بذلك ضرر على أحد من الناس.

مَا يُرَخَّصُ فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ:

رخص النبي ﷺ في ثلاث حالاتٍ من الكذبٍ لا رابع لها.

أولها: في الإصلاح بين الناس، وصورة ذلك أن تأتي لمتخاصمين فتقول لأحدهما فلان - يعني الذي
يخاصمه ويقاطعه - يقرئك السلام ويثني عليك خيراً ويمدحك ونحو ذلك وهو ما أثنى خيراً ولا مدح ولا

١ - رواه البخاري - كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٦٦٥٩، وأحمد - حديث: ١٩٦٥٠.

٢ - فتح الباري لابن حجر (٥٢ / ٢٠).

أرسل معه سلاماً، ويذهب إلى الآخر ويقول له مثل هذا الكلام يقصد بذلك الإصلاح بينهما، فهذا ليس كذباً في عرف الشرع بنص كلام النبي ﷺ.

وثانيها: في الحرب فلو أخذ المسلم أسيراً ثم سئل عن جيش المسلمين وعن سلاحهم، لا يحل له أن يخبر بما يعلم من ذلك صيانةً للمسلمين وقد قال النبي ﷺ: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»^١.

وما يدل على جواز الكذب في الحرب كذلك ما رواه البخاري في صحيحه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ انْذَنْ لِي فَلَا قُلَّ قَالَ: «قُلْ» فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا وَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَانَا. فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ. قَالَ إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ وَنَكَرَهُ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ - قَالَ - وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسَلِّفَنِي سَلَفًا قَالَ فَمَا تَرَهْنُنِي قَالَ مَا تُرِيدُ. قَالَ تَرَهْنُنِي نِسَاءَكُمْ قَالَ أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ أَنْزَهْنِكَ نِسَاءَنَا قَالَ لَهُ تَرَهْنُونِي أَوْلَادَكُمْ. قَالَ يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ رُهْنٌ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ. وَلَكِنْ نَرَهْنُكَ الْأَمَةَ - يَعْنِي السِّلَاحَ - قَالَ فَنَعَمْ وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ وَأَبِي عَبْسٍ بْنِ جَبْرِ وَعَبَادِ بْنِ بَشْرِ قَالَ فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ قَالَ إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيْعُهُ وَأَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ. قَالَ مُحَمَّدٌ إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أُمْدُ يَدَيَّ إِلَى رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ قَالَ فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ فَقَالُوا نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ قَالَ نَعَمْ تَحْتِي فَلَانَتْ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ. قَالَ فَتَأَذَّنْ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ قَالَ نَعَمْ فَشَمُّ. فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ ثُمَّ قَالَ أَتَأَذَّنْ لِي أَنْ أَعُوذَ قَالَ فَاسْتَمَكَنْ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ دُونَكُمْ. قَالَ فَقَتَلُوهُ^٢.

وثالثها: حديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، إذا سئل الزوج زوجته فقال هل تحبينني؟ فإن كانت تبغضه فلا يجوز لها أن تظهر ذلك له، بل يجب عليها أن تقول: (نعم أحبك)، وكذا الزوجة إذا سئلت زوجها

١ - رواه البخاري- كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، حديث: ٢٨٨٧، ومسلم- كتاب الجهاد والسير باب، جواز الخداع في الحرب، حديث: ٣٣٦١، عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

٢ - رواه البخاري- كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، حديث: ٣٨٢٩، ومسلم- كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، حديث: ٣٤٤٧

وكان يبغضها لا يجوز له أن يظهر ذلك لها حتى تدوم العشرة بينهما، وحتى لا يهدم البيت، ولا يتشتت الشمل، ولا يتشرد الأولاد، بل ويجوز له الحلف على ذلك إن احتاج إليه.

فَعَنِ ابْنِ أَبِي عَزْرَةَ الدُّوَلِيِّ، وَكَانَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ يَخْلَعُ النِّسَاءَ الَّتِي يَتَزَوَّجُهَا، فَطَارَ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أُخْذُوتهُ فَكَرِهَهَا، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ، قَامَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ حَتَّى أَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ، وَابْنُ الْأَرْقَمِ يَسْمَعُ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، هَلْ تُبْغِضِينِي؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: لَا تُنَاشِدْنِي. قَالَ: بَلَى. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَزْرَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ: أَسْمَعُ. ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى عُمَرَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُحَدِّثُونَ أَنِّي أَظْلَمُ النِّسَاءَ، وَأَخْلَعُهُنَّ، فَاسْأَلْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَرْقَمِ عَمَّا سَمِعَ مِنْ امْرَأَتِي، فَسَأَلَ عُمَرُ عَبْدَ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَجَاءَتْ، فَقَالَ لَهَا: «أَنْتِ الَّتِي تُحَدِّثِينَ زَوْجَكَ أَنَّكَ تُبْغِضِينَهُ؟»، قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَوَّلُ مَنْ تَابَ، وَرَاجَعَ أَمَرَ اللَّهِ، إِنَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشَدَنِي بِاللَّهِ، فَتَحَرَّجْتُ أَنْ أَكْذِبَ، أَفَأَكْذِبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَأَكْذِبِي، فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ لَا تُحِبُّ أَحَدًا، فَلَا تُحَدِّثْنِي بِذَلِكَ، فَإِنَّ أَقْلَ الْبُيُوتِ الَّذِي يُبْنَى عَلَى الْحَبِّ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَعَاشَرُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ»^١.

عَنِ أُمِّ كُثَيْبٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى اللَّائِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ أَتَمَّا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ الْحَرْبُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا^٢.

الْمَعَارِضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ:

إذا اضطر الإنسان أن يتكلم بكلام يخشى أن صرح فيه العقاب أو الشريب، جاز له التعريض في الكلام، ولكن لا ينبغي له أن يتخذ ذلك عادة، فيكون كلامه دائماً التعريض، فإن التعريض ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها.

والتعريض هو: التَّوْبِيهُ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ.

١ - رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق - باب ما يرخص فيه من الكذب، حديث: ١٧٨

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، حديث: ٤٨٢٣

قال الأصمعي: يُقَالُ عَرَّضَ لِي فُلَانٌ تَعْرِيضاً إِذَا رَحَّحَ بِالشَّيْءِ وَلَمْ يَبَيِّنْ.

والتعريض خلاف التصريح.

قال ابن منظور: والمعارِضُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا عُرِّضَ بِهِ وَلَمْ يُصَرَّحْ.

قال عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا فِي الْمَعَارِضِ مَا يُغْنِي الْمُسْلِمَ عَنِ الْكَذِبِ؟

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: مَا أُحِبُّ بِمَعَارِضِ الْكَلَامِ حُمْرَ النَّعَمِ.

والتَّعْرِيضُ فِي خِطْبَةِ الْمَرْأَةِ فِي عِدَّتِهَا: أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُشْبِهُ خِطْبَتِهَا وَلَا يُصَرِّحُ بِهِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ هَذَا:

إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ أَوْ كُلَّ رَجُلٍ يَتَمَنَّى الزَّوْاجَ بِكَ، أَوْ مِثْلَهَا لَا تُتْرَكُ.

والتَّعْرِيضُ قَدْ يَكُونُ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَذِكْرِ الْأَلْغَازِ فِي جُمْلَةِ الْمَقَالِ.

حُكْمُ التَّعْرِيضِ فِي الْكَلَامِ:

التَّعْرِيضُ لَيْسَ كَذِبًا، بَلْ هُوَ مَبَاحٌ عِنْدَ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ، لَكِنْ كَمَا قُلْنَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ

كَلَامِهِ تَعْرِيضًا؛ لِأَنَّهُ ضَرُورَةٌ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ»^١.

إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ أَيَّ غَنِيَّةٍ سَعَةٍ لِلْمُسْلِمِ عَنِ الْكَذِبِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابُ الْمَعَارِضِ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ.

أَمْثَلَةٌ عَلَى التَّعْرِيضِ:

وَمِنْ التَّعْرِيضِ مَا وَقَعَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ مَاتَ وَلَدُهَا؛ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَاتَ ابْنُ

لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: كَيْفَ الْعَلَامُ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هَذَا نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاخَ، وَظَنَّ أَنَّهَا

صَادِقَةٌ.^٢

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - بَابُ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةٌ، حديث رقم: ٨٥٧، وابن أبي شيبه في مصنفه - حديث رقم: ٢٦٠٩٦

٢ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، حديث: ١٢٥٢

ومن التَّعْرِيضِ كذلك ما وقع لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ حِينَ اتَّهَمَتْهُ امْرَأَتُهُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ، وَأَخَذَتْ لَهُ سَكِينًا، وَكَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَتْ لَهُ اقْرَأِ الْقُرْآنَ وَأَلْحَتْ عَلَيْهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ***** وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ ***** وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ ***** مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ

قَالَ: فَرَضِيَتْ امْرَأَتُهُ وَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ وَكَذَبْتَ عَيْنَايَ. وَحَسِبْتُ أَنْ هَذَا قُرْآنًا.

خَطَرُ الاسْتِهَانَةِ بِالْكَذِبِ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ بِحَسَبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.^١
عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ».^٢

وقال بعض الأعراب: عجبت من الكذاب المشيد لكذبه، وإنما هو يدل الناس على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة والأخبار عنه متضادة، إن قال حقاً لم يصدق، وإن أراد خيراً لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، الدال على فضيحته بمقاله، فما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه.

ويقال الكذب جَمَاعُ النِّفَاقِ، وَعِمَادُ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، عَارٌ لَازِمٌ، وَذُلٌّ دَائِمٌ، يَخِيفُ صَاحِبُهُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ، وَيَكْشِفُ سِتْرَ الْحَسَبِ عَنْ لُؤْمِهِ الْكَامِنِ.

١ - رواه مسلم - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث: ٧

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٩٦٠٤، أبو داود - كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث: ٤٣٥٩، والترمذي - باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث: ٢٢٩٣، والنسائي في الكبرى - كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سورة النساء، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]، حديث: ١٠٦٨٥، والحاكم - كتاب الإيمان، حديث: ١٢٩، بسند حسن

قال الشاعر:

إن النوم أعطى دونه خبري ***** وليس لي حيلة في مفتري الكذب

لا يكذب المرء إلا من مهاتته ***** أو عادة السوء أو من قلة الأدب

قيل لبعض الحكماء: أيما أشر الكذاب أو النمام؟ فقال الكذاب؛ لأنه يخلق عليك والنمام ينقل عنك.

وصدق القائل:

لي حيلة فيمن ينم ***** وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ***** ل فحيلتي فيه قليلة

وقال جعفر الصادق عليه السلام لا تصحب خمسة: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها.^١

وقال أبو حيان التوحيدي: الكذب شعارُ خُلُقٍ، وأدبٌ سيءٌ، وعادةٌ فاحشةٌ، وقل من استرسل معه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أذله.

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال: إياك والكذب؛ فإنه يزري بقائله وإن كان شريفاً في أصله، ويذله وإن كان عزيزاً في أهله. وقيل: ثنتان لا يجتمعان الكذب والحياء.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

١ - إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٢)

وقيل: لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه، فإن ما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده.

ولقد صدق من قال:

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به ***** إنّ اللسان لما عوّدت معتاد

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الغيبة)

إن من أعظم آفات اللسان خطراً على العبد الغيبة، ولم لا؟ وهي من أسباب عذاب القبر، ومما يحبط العمل الصالح، ودليل دناءة النفس وخستها، وهي من أسباب ذهاب الإيمان.

حد الغيبة:

الغَيْبَةُ لغة: من الاغْتِيَابِ يقال: اغتاب الرجل صاحبه اغْتِيَابًا، إِذَا وَقَعَ فِيهِ: وهو أَنْ يَتَكَلَّمَ خَلْفَ إِنْسَانٍ مَسْتُورٍ بِسُوءٍ، أَوْ بِمَا يَعْظُمُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ.^١

قَالَ الرَّائِبِيُّ: الْغَيْبَةُ هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْإِنْسَانُ عَيْبَ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ مُحِجٍّ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "الْأَذْكَارِ" تَبَعًا لِلْعَزَالِيِّ: ذَكَرَ الْمَرْءُ بِمَا يَكْرَهُهُ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ فِي بَدَنِ الشَّخْصِ، أَوْ دِينِهِ، أَوْ دُنْيَاهُ، أَوْ نَفْسِهِ، أَوْ خُلُقِهِ، أَوْ خُلُقِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ وَالِدِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ زَوْجِهِ، أَوْ خَادِمِهِ، أَوْ ثَوْبِهِ، أَوْ حَرَكَتِهِ، أَوْ طَلَاقَتِهِ، أَوْ عُبُوسَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ، سَوَاءً ذَكَرْتَهُ بِاللَّفْظِ أَوْ بِالِإِشَارَةِ وَالرَّمْزِ.^٢

وهذا هو المعنى في الشرع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ».^٣

١ - تاج العروس من جواهر القاموس (٣ / ٥٠١)

٢ - فتح الباري لابن حجر (١٧ / ٢٠٧)

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، حديث: ٤٧٩٦

حُكْمُ الْغِيْبَةِ:

الغيبه حرام بنص القرآن والسنة وإجماع العلماء، بل هي من كبائر الذنوب، قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^١.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما الغيبه فهي ذكرُك الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو خلقه، أو ماله أو ولده أو والده، أو زوجه أو خادمه أو مملوكه، أو عمامته أو ثوبه، أو مشيته وحركته وبشاشته، وخلاعته وعبوسه وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزت، أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك. أما البدن فكقولك: أعمى أعرج أعمش أقرع، قصير طويل أسود أصفر. وأما الدِّينُ فكقولك: فاسق سارق خائن، ظالم متهاون بالصلاة، متساهل في النجاسات، ليس باراً بوالده، لا يضعُ الزكاة مواضعها، لا يجتنُب الغيبه. وأما الدنيا: فقليلُ الأدب، يتهاونُ بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثيرُ الكلام، كثيرُ الأكل أو النوم، ينامُ في غير وقته، يجلسُ في غير موضعه، وأما المتعلِّق بوالده فكقوله: أبوه فاسق، أو هندي أو نبطي أو زنجي، إسكاف بزاز نحاس نجار حداد حائك. وأما الخُلُق فكقوله: سيء الخلق، متكبر مُراء، عجول جبَّار، عاجز ضعيف القلب، مُتهوِّر عبوس، خليع، ونحوه. وأما الثوب: فواسع الكمّ، طويل الذيل، وَسِخُ الثوب ونحو ذلك، ويُقاس الباقي بما ذكرناه. وضابطه: ذكره بما يكره.^٢

الْغِيْبَةُ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَحْمِشُونَ وُجُوهُهُمْ وَصُدُورُهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^٣.

١ - سورة الحجرات: الآية / ١٢

٢ - الأذكار النووية للإمام النووي (١ / ٤٢٤)

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٣١١٢، رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث رقم: ٤٢٥٦

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: (لَيْلَةُ أُسْرِي بِنَيِّْ اللَّهِ ﷺ نَظَرُ فِي النَّارِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْحَيْفَ قَالَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ». قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ).^١

قال البخاري رحمه الله: بَابُ الْغِيَةِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.^٢

ثم روى بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِثْمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ، فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا، مَا لَمْ يَيْبَسَا».^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةِ مِنْ الْغِيَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبَوْلِ، وَإِيَّاكُمْ وَذَلِكَ».^٤

الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ رَائِحَتُهُمْ كَرَائِحَةُ الْجِيفَةِ الْمُنْتِنَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ حَيْفَةً مُنْتِنَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ».^٥

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٦١

٢ - سورة الحجرات: الآية ١٢/

٣ - رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، حديث: ١٣٢٣، ورواه مسلم - كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث: ٤٦٥

٤ - رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين - حديث رقم: ٢٣٩

٥ - رواه أحمد - حديث: ١٤٥٢٢ بسند حسن، والبخاري في الأدب المفرد - باب، حديث: ٧٥٤

الْغَيْبَةُ تُحِيطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى قَالَهَا أَرْبَعًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْخَامِسَةِ قَالَ: «زَيْتُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «وَتَدْرِي مَا الزَّيْتُ؟» قَالَ: نَعَمْ. أَتَيْتُ مِنْهَا حَرَامًا مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ حَلَالًا. قَالَ: «مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ؟» قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدْخَلْتَ ذَلِكَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيبُ الْمِيلُ فِي الْمُكْحَلَةِ وَالْعَصَا فِي الشَّيْءِ؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ فَرُجِمَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجْلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ؟ فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، ثُمَّ مَرَّ بِجِيْفَةِ حِمَارٍ، فَقَالَ: «أَيْنَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ انْزِلَا فُكَلَا مِنْ جِيْفَةِ هَذَا الْحِمَارِ» قَالَا: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يُؤْكَلُ هَذَا؟ قَالَ: «فَمَا نَلْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا أَنْفَا أَشَدُّ أَكْلًا مِنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الْآنَ فِي أَثَارِ الْجَنَّةِ يَتَقَمَّصُ فِيهَا»^٢.

الْكَلِمَةُ مِنَ الْغَيْبَةِ لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَغَبِرَتْ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^٣.

١ - رواه البخاري - كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، حديث: ١٨١٣

٢ - رواه ابن حبان - كتاب الحدود، باب ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ رد ماعز بن مالك - حديث: ٤٤٦٤، وأبو يعلى - حديث: ٦٠٠٤، وأبو داود الطيالسي - حديث: ٢٥٩٥، بسند ضعيف

٣ - رواه أحمد - حديث: ٢٥٠١٩، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٢٥٣، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب حديث: ٢٤٨٦، والبيهقي كتاب الشهادات - باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٩٠، بسند صحيح

قَالَ النَّوَوِيُّ: مزجته أي خالطته مخالطة يتغيرُ بها طعمه أو ريحُه لشدة نتنها وقبحها، وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئاً من الأحاديث يبلغ في الذم لها هذا المبلغ.

الْغَيْبَةُ أَرْبَا الرِّبَا:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الْإِسْطِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بَعِيرٍ حَقٍّ»^١.

ذَمُّ السَّلَفِ لِلْغَيْبَةِ وَمَنْ يَقَعُ فِيهَا:

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْغَيْبَةُ مَرَعَى اللَّثَامِ.

وقال علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: إِيَّاكَ وَالْغَيْبَةَ فَإِنَّهَا أَدَمُ كِلَابِ النَّارِ.

وقال قتيبة لرجل يغتاب آخر: (لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام، الغيبة مرعى اللثام وجهد العاجز).

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ: (لَا يَذْكُرُ فِي النَّاسِ مَا يَكْرَهُونَهُ إِلَّا سَفَلَةٌ لَا دِينَ لَهُ)^٢.

وقال بعض الحكماء أربعة من علامات اللؤم: أفشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الأحرار وإساءة الجوار.

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِي أَبِي: إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَدْنِيكَ وَيَقْرِبُكَ، فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: إِيَّاكَ أَنْ يَجْرِبَ عَلَيْكَ كَذِبُهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَفْشِيَ لَهُ سِرًّا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! ثَلَاثًا وَأَيُّ ثَلَاثٍ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فَقَالَ: بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٦٥١، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٨٧٦، والطبراني في الكبير - حديث:

٣٥٧، بسند صحيح

٢ - الطيوريات (٣/ ١١٣٧)

أَجْرُ مَنْ ذَبَّ عَنْ حَمِّ أَخِيهِ فِي الْغِيْبَةِ:

إذا انتهك عرضُ المسلم، وأسيء إليه حال غيبته، فيجب على من سمع ذلك أن يرد عنه بالغيب، وأن يذكر محاسن هذا الذي وقع الطعن عليه ذبا عنه وردا لهذا المغتاب، فإذا فعل ذلك فإن الله تعالى يرد عنه النار يوم القيامة والجزاء من جنس العمل.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ حَمِّ أَخِيهِ فِي الْغِيْبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»^٢.

مِنْ صُورِ الْغِيْبَةِ:

كثير من الناس يظنون أن ألفاظ الغيبة لابد أن تكون قبيحة، كصفة ذم أو إظهار نقص، أو فضح عيب، ولكن من الغيبة أيضا أمراً لا يفتن له كثير من الناس، منه ما يكون في صورة دعاء، ومنه ما يكون حمداً لله على المعافاة، ومنه ما هو إشارة، يفهم منها السامع المراد، ولو لم يتكلم بكلام قبيح.

قال الفضيل: الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار، وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها.

وقيل: إذا رأيت من يغتاب الناس فأجهد جهدك ألا يعرفك، فأشقى الناس به معارفه.

وقال النووي رحمه الله: (الغيبة ذكرك الإنسان بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك. وضابطه: كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مُطْأَطِئاً أو على غير ذلك من الهيئات، مريداً حكاية هيئة من يتنقَّصُهُ بذلك، فكل ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك إذا ذكر مُصنِّفُ كتاب شخصاً بعينه

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٦٩٣٠، ورواه الترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، حديث: ١٩٠٣ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه الألباني

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٦٩٩٨، وعبد الله بن المبارك في الزهد - حديث: ٦٨٧، بسند صحيح

في كتابه قائلاً : قال فلان كذا مريداً تنقيصه والشناعة عليه، فهو حرام، فإن أراد بيان غلظه لئلا يُقَلَّدَ أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُعْتَرَّ به ويُقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة يُثَاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، وهذا غلط أو خطأ أو جهالة وغفلة، ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين.

ومن ذلك غيبة المتفقهين والمتعبدين، فإنهم يعرضون بالغيبة تعريضاً يفهم به كما يفهم بالصریح، فيُقال لأحدهم: كيف حال فلان؟ فيقول: الله يُصلحنا، الله يغفر لنا، الله يُصلحه، نسأل الله العافية، نحمدُ الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة، نعوذ بالله من الشرِّ، الله يُعافينا من قلة الحياء، الله يتوبُّ علينا وما أشبه ذلك مما يُفهم منه تنقُّصه، فكل ذلك غيبة محرمة، وكذلك إذا قال: فلان يُبتلى بما ابتلينا به كلنا، أو ماله حيلة في هذا، كلنا نفعله، وهذه أمثلة وإلا فضايط الغيبة: تفهيمك المُخاطَبِ نقص إنسان كما سبق، وكلُّ هذا معلوم من مقتضى الحديث الذي ذكرناه في الباب الذي قبل هذا عن صحيح مسلم وغيره في حدِّ الغيبة، والله أعلم.^١

الحالات التي تجوز فيها الغيبة:

الأولى التَّظَلُّمُ:

ودل عليه ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: حَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جِئْنَا امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْأَسْوَاقِ فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ بِابْنَتَيْنِ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَاتَانِ بِنْتَانِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ قُتِلَ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ اسْتَفَاءَ عَمُّهُمَا مَا لَهُمَا وَمِيرَاثُهُمَا كُلُّهُ فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالاً إِلَّا أَخَذَهُ فَمَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَ اللَّهُ لَا تُنْكَحَانِ أَبَدًا إِلَّا وَهُمَا مَالٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَفْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ». قَالَ وَنَزَلَتْ سُورَةُ النَّسَاءِ (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) الْآيَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْعُوا لِي الْمَرْأَةَ وَصَاحِبَهَا». فَقَالَ لِعَمِّهِمَا:

١ - الأذكار النووية للإمام النووي (١/ ٤٢٨)

«أَعْطَيْهِمَا الثُّلُثَيْنِ وَأَعْطَى أُمَّهُمَا الثُّمْنَ وَمَا بَقِيَ فَلَكَ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ أَخْطَأَ بِشَرِّ فِيهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ.^١

الثانية الاستفتاء:

ودل عليه قول هند امرأة أبي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِي قَالَ: «خُذِي بِالْمَعْرُوفِ».^٢

الثالثة التحذير:

ودل عليه قول النَّبِيِّ ﷺ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَضَعْلُوكَ لَا مَالَ لَهُ أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ».^٣

قال النووي: وفيه دليل على جواز ذكر الإنسان بما فيه عند المشاورة وطلب النصيحة ولا يكون هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة.

الرابعة المجاهرة بالفسق:

ودل عليه قول النَّبِيِّ ﷺ لِرَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ: «اؤْذِنُوا لَهُ فَيُسْ أَخُو الْعَشِيرَةِ».^٤
قال ابن حجر: وهذا الحديث أصل في المداراة، وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق "وَنَحْوَهُمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

وَقَالَ الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنِي حَرْبٌ سَمِعَتْ أَحْمَدَ ﷺ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُعْلَنًا بِفُسْقه فَلَيْسَتْ لَهُ غَيْبَةٌ.

١ - رواه أبو داود - كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب، حديث: ٢٥٢٠، والترمذي - كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات، حديث: ٢٠٦٩

٢ - رواه البخاري - كتاب النفقات، باب وعلى الوارث مثل ذلك وهل على المرأة منه شيء وضرب - حديث: ٥٠٦١، ومسلم - كتاب الأقضية، باب قضية هند، حديث: ٣٣١٩

٣ - رواه مسلم - كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، حديث: ٢٧٨٧

٤ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، حديث: ٥٦٩٢، ورواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه، حديث: ٤٧٩٩

وَقَالَ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ: مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيْبَةَ فِيهِ.

الْحَامِسَةُ التَّعْرِيفُ:

ودل عليه قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُؤَدَّنَانِ بِلَالٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»^١.

السَّادِسَةُ طَلَبُ الْإِعَانَةِ عَلَى إِزَالَةِ مُنْكَرٍ:

وَنَظَمَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

تَظَلَّمْتُ وَاسْتَعِثْتُ وَاسْتَفْتَيْتُ حَدِّرْ ***** وَعَرَّفْتُ بِدَعَاةٍ فَسَقَ الْمُجَاهِرُ

وَنَظَمَ ذَلِكَ آخَرُ أَيْضًا فَقَالَ:

الْقَدْحُ لَيْسَ بِغِيْبَةٍ فِي سِتَّةٍ ***** مُتَظَلَّمٌ وَمُعَرِّفٌ وَمُحَذِّرٌ

وَلِمُظْهِرٍ فَسَقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ ***** طَلَبَ الْإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرٍ

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن الغيبة وإن كانت محرمة، فإنها تباح في أحوال:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي، فيذكر أن فلاناً ظلمني.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي: ظلمني أبي.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصحهم، كجرح المجروحين من الرواة، ومنها إذا استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته، أو غير ذلك.

١ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، باب استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد، حديث: ٥٩٩

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب، كالأعمش والأعرج والأصم والأحول، جاز تعريفه بذلك بنية التعريف، ويحرم إطلاقه على جهة النقص.

سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الرَّجُلِ يَسْأَلُ عَنِ الرَّجُلِ يَخْطُبُ إِلَيْهِ فَيَسْأَلُ عَنْهُ فَيَكُونُ رَجُلًا سُوءَ فَيْخِرُهُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «مُعَاوِيَةُ عَائِلٌ، وَأَبُو جَهْمٍ عَصَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ»، يَكُونُ غَيْبَةً إِنْ أَخْبَرَهُ؟ قَالَ: الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ يُخْبِرُهُ بِمَا فِيهِ وَهُوَ أَظْهَرُ، وَلَكِنْ يَقُولُ مَا أَرْضَاهُ لَكَ وَتَحْوُ هَذَا أَحْسَنُ.

الغيبة تدل على نقص في المغتاب وقلة مروءته:

قيل: من وجدتموه عيابًا وجدتموه معيبًا لأنه يعيب الناس بفضل عيبه.

وصدق القائل:

وأجراً من رأيتُ بظَّهَرٍ غَيْبٍ ***** على عيب الرجال أولوا العيوب

وقال المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ***** فهي الشهادة لي بأني كامل

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(النَّمِيمَةُ)

تعريفُ النَّمِيمَةِ:

النَّمِيمَةُ هي: نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ.^١
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْعَضَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ».^٢

النَّمِيمَةُ من أشد الآفات فتكًا، وأبينها على الأحبة ضررًا، وأسرعها في إضرار نارِ العداوة شرًا، تعمل عمل السحر في تفريق الأحبة، وعمل السيوف في تمزيق أواصر ذوي القربى، فلا جرم أن كانت من أسباب عذاب البرزخ، ودليلاً على فساد أخلاق صاحبها، وسوء سريره، وقبح طويته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ خَلَافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾.^٣

قال ابن كثير: ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الخالقة.^٤

قال ابن منظور رحمه الله: وَيُقَالُ لِلنَّمَامِ: الْقَتَاتُ، يُقَالُ: قَتَّ إِذَا مَشَى بِالنَّمِيمَةِ. وَيُقَالُ لِلنَّمَامِ قَسَاسٌ وَدَرَجٌ وَغَمَازٌ وَهَمَّازٌ وَمَائِسٌ وَمَمَّاسٌ، وَقَدْ مَاسَ مِنَ الْقَوْمِ وَمَلَّ. قال الجوهري: نَمَّ الْحَدِيثَ يَنْمُهُ وَيَنْمُهُ نَمًّا أَيْ قَتَّهُ، وَالْإِسْمُ النَّمِيمَةُ.

١ - شرح النووي على مسلم (١١٢ / ٢)

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، حديث: ٤٨٢٤، والبخاري - في الأدب المفرد، باب المستبان ما قالاً فعلى الأول، حديث: ٤٣٨، والبيهقي في السنن كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٤

٣ - سورة القلم: الآية / ١٠، ١١

٤ - تفسير ابن كثير (١٩١ / ٨)

خَطَرُ النَّمِيمَةِ:

النَّمَامُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ:

عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ».^١

النَّمَامُ شَرُّ النَّاسِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِدُ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ».^٢

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قالوا: بلى قال: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ. أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرَارِكُمْ؟» قالوا بلى. قال: «الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعَنَتُ».^٣

النَّمِيمَةُ تَعْمَلُ عَمَلَ السَّحَرِ بَلْ أَشَدُّ:

النَّمِيمَةُ تَعْمَلُ عَمَلَ السَّحَرِ بَلْ أَشَدُّ مِنْ عَمَلِ السَّحَرِ فِي تَمْزِيقِ الْأَوَاصِرِ، وَإِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِذَا كَانَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، فَإِنْ إِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ تَحْلِقُ الدِّينَ وَتَذْهَبُ بِهِ.

١ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، حديث: ٥٧١٦، ومسلم- كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم

النميمة، حديث: ١٧٧

٢ - رواه أحمد- حديث: ١٠٢١٩، والبيهقي في السنن- كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته،

حديث: ١٩٦٨٠، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد- حديث: ١٧٦٨٦، رواه البخاري في الأدب المفرد بسند حسن، باب النمام، حديث: ٣٣٣

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ»^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُبَيِّتُكُمْ مَا الْعَضَةُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^٢.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْعَضَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ»^٣.

وَالْعَضَةُ يُطْلَقُ عَلَى النَّمِيمَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى السَّحَرِ، وَيُطْلَقُ عَلَى السَّخْرِيةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى التَّمْزِيقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^٤.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، جَزَّوْهُ أَجْزَاءً، فَأَمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ^٥.

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَيِ أَتَدْرُونَ مَا السَّحَرُ؟ وَالْعَضَةُ هِيَ السَّحَرُ، وَكَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَصَرَ السَّحَرَ فِي النَّمِيمَةِ تَحْذِيرًا مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ: هِيَ النَّمِيمَةُ، فَالنَّمِيمَةُ تَقْطَعُ أَوَاصِرَ الْحُبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَقْطَعُ وَشَائِحَ الصَّلَاةِ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ، وَهِيَ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ، وَهِيَ سَبَبٌ لِلْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، وَمِنْ أَسْبَابِ حَرَمَانِ دُخُولِ الْجَنَّةِ،

١ - رواه الترمذي - أبوابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالزَّكَاةِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابُ، حديث رقم: ٢٥٠٩، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، حديث: ٤٨٢٤

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، حديث: ٤٨٢٤، والبخاري - في الأدب المفرد، باب المستبان ما قاله فعلى الأول، حديث: ٤٣٨، والبيهقي في السنن كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٤

٤ - سورة الحجر: الآية/٩١

٥ - تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٩)

فالنميمة سبب لإفساد المجتمعات، وتدمير البيوتات، فهي كالسحر من حيث التفريق بين الناس، ففيها تفريق، كما أن السحر فيه تفريق.^١

النميمة من أعظم أسباب العداوة والبغضاء، فهي تعمل عمل السحر في قلب المحبة عداوة في لحظات معدودة لذلك كانت من الكبائر، وكانت الجنة على من اتصف بها محرمة، وكان صاحبها من شر الناس بل هو شرهم لفريقه بين الأحبة، وإفساده ذات البين.

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: التَّمَامُ يُفْسِدُ فِي سَاعَةٍ مَا لَا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ.

فإذا أتى إنسان لإنسان آخر فقال له مثلاً: (خذ حذرك من فلان فقد سمعته يقول: إنه يبغضك، ويقول عنك أنك سيء الأخلاق، وضعيف الشخصية، وبخيل وكذا وكذا.....)، أقول هل يمكن أن يكون حال مَنْ قِيلَ له هذا الكلام كما كان قبل هذا الكلام؟

لا والله، بل لو كان من بَلَغَهُ هذا الكلام عن أحب الناس إلى قلبه لتحولت محبته إلى بغضاء وعداوة، بقدر هذه المحبة، لذلك سماها النبي ﷺ: (الْعَضَةُ)؛ لأنها تمزق المجتمعات، وتفسد المودات، وتثير العداوات، وليس هناك أدل على تأثر القلب من النميمة من نهي النبي ﷺ عن نقل الكلام إليه.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُبْلَغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».^٢

النَّمَامُ كَذَابٌ مَفْتَرٌ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا يَعْضَضَهُ بَعْضُنَا بَعْضًا «فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ

١ - المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه (٢ / ٤٧٦)

٢ - رواه أحمد - حديث: ٣٦٥٠، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، حديث: ٤٢٣٩، والترمذي - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٨٩٦، بسند ضعيف

أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأَقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمَرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»^١.

ولقد صدق القائل:

وَالنَّمِيمَةُ وَالكَذِبُ رَضِيعَا لِبَانٍ ***** وَفِي مِشْوَارِ الدَّنَاءَةِ فَرَسَا رِهَانٍ

وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية: بَلَّغْنِي عَنْكَ الثَّقَةَ.
فقال له الأحنف: إِنْ الثَّقَةُ لَا يُبَلِّغُ مَكْرُوهًا.

وكيف يُوثَقُ بِالنَّمَامِ وهو في أحسنِ حالاتِهِ فَاسِقٌ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَهُوَ كَذَابٌ.

وَلَا تَتَقَنَّ بِالنَّمَامِ فِيمَا ***** حَيَاكَ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي الْخَلَاءِ

وَأَيَقُنْ أَنْ مَا أُفْضِيَ إِلَيْهِ ***** مِنْ الْأَسْرَارِ مُنْكَشِفُ الْغِطَاءِ

وكيف يوثق بالنمام وهو ناقض للعهد خائن للأمانة، ساع بالفساد في الأرض مفرق بين الأحبة قاطع لأواصر الصلة، يعمل عمل السحرة، ويمكر مكر الشياطين.

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تَوْمِنْ عَقَابُهُ ***** عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تَوْمِنْ أَفَاعِيهِ

كَالسِيلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ ***** مِنْ أَيْنَ جَاءَ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ

فَالْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ ***** وَالْوَيْلُ لِلوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يَفْنِيهِ

وصدق والله القائل:

تَنْحَ عَنْ النَّمِيمَةِ وَاجْتَنِبْهَا ***** فَإِنَّ النَّمَّ يُجْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٢١٤٢ ، ومسلم - كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، حديث: ٣٣١٠

يُثِيرُ أَخُو النَّمِيمَةِ كُلَّ شَرٍّ ***** وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلِّ سِرٍّ

وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمًا ***** وَلَيْسَ النَّمُّ مِنْ أَفْعَالٍ حَرِّ

النَّمِيمَةُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِأَثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا»^١.

بالنميمة تسفك الدماء:

قال عطاء بن السائب: "قدمت من مكة، فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد أظرفنا مما سمعت؛ قلت: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم، ولا آكل ربا، ولا مشاء بنميم؛ فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدماء وأكل الربا، فقال الشعبي: وما يعجبك من هذا؟ فهل تسفك الدماء وتركب العظائم إلا بالنميمة؟ عن حميد الطويل: كان رجل له غلام فباعه وقال للمشتري: إني أبرأ إليك من كل عيب به إلا عيباً واحداً. قال: وما هو؟ قال: النميمة. قال: أنت بريء منه فإني لا أقبل قوله. قال: فما لبثت إلا قليلاً حتى أتى السيد وقال: إن امرأتك بغية وهي تريد أن تقتلك وتتزوج غيرك. قال: وما يدريك؟ قال: قد عرفت ذلك، فتناوم عليها فإنه سيظهر لك ما أقول، وأتى المرأة فقال: إن زوجك يريد أن يخلعك ويتزوج غيرك، فهل لك أن أريك فيرجع إليك حبه؟ قالت: نعم ولك كذا وكذا. قال: اثني بثلاث شعرات من تحت حنكه. فلما دنت منه لتتناول الشعر قام إليها بالسيف ولم يشك فيما قاله الغلام فقتلها، وجاء إخوة المرأة فقتلوا الزوج فذهبا جميعاً بسوء صنيع عبدهما وقبولهما نميمته^٢.

١ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الغيبة، حديث: ٥٧١٢، ومسلم - الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء

منه، حديث: ٤٦٥

٢ - المحاسن والمساوئ (١ / ٢٤٣)

النَّمِيمَةُ تَوْرَثُ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ:

ومن أمثال العرب: (النَّمِيمَةُ أَرْثَةُ الْعَدَاوَةِ).

قال أبو حاتم رحمته الله: هذا وأمثاله من ثمرة النميمة، لأنها تهتك الأستار، وتفشي الأسرار، وتورث الضغائن، وترفع المودة، وتحدد العداوة، وتبدد الجماعة، وتهيج الحقد، وتزيد الصد، فمن وُشِيَ إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته على الهفوة إن كانت، وقبول العذر إذا اعتذر، وترك الإكثار من العتب، مع توطئ النفس على الشكر عند الحفاظ، وعلى الصبر عند الضياع، وعلى المعاتبة عند الإساءة.^١

من يخبرك بشتيم عن أخ ***** فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به ***** إنما اللوم على من أعلمك

وأما السعاية إلى السلطان، وإلى كل ذي قدرة، فهي المهلكة والحالقة، التي تجمع الخصال الذميمة من الغيبة، وشؤم النميمة والتغريب بالنفوس والأموال في النوازل والأحوال، وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته، والسيد عن مرتبته؛ فكم دم أراقه سعي ساع، وكم حريم استبيح بنميمة نمام، وكم من صفيين تباعدا، وكم متواصلين تقاطعا، وكم من محبين افتراقا، وكم من إلفين تهاجرا، وكم من زوجين تطالقا، فليتنق الله ربه عز وجل رجلاً ساعدته الأيام، وتراخت عنه الأقدار، أن يصغي لساع أو يستمع لنمام.

وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية وإذا أتاه ساع يقول له: إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذبتنا عاقبتنا، وإن استقلتنا أفلناك.

وكتب في جواب كتاب ساع: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعائته صادقاً لكان في صدقه لئيمًا إذ لم يحفظ الحزمة، ولم يستر العورة.

وقال بعض الحكماء: الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الأليمة من الجسد ويترك الصحيحة.

قال محمد بن شرف القيرواني يصف تمامًا: ١

وناصت نحو أفواه الوري أذنًا ***** كالقعب يلفظ منها كل ما سقطا

يظل بالقول والأخبار مجتهدًا ***** حتى إذا ما وعاهها زق ما لقطا

وحكى أن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتيبي رأى رجلاً يسعى برجل عند صديق له فقال له: نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن التكلم به، فإن السامع شريك القائل، وإنما نظر شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة ساعٍ إلى فيه لسعد رادها كما شقي قائلها، والنمام شر من الساحر؛ فإن النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة.

أتى رجل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه بنميمة فقال له: إن شئت سألتنا عما جئت به فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أقلناك، فقال إن شئت أن تفعل فافعل.

وقيل:

توخ من الطرق أوساطها ***** وعُذ عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح ***** كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع الحديث ***** شريك لقائله فانتبه

١ - غرر الخصاص الواضحة (ص: ٦٨)

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ:

لَا	تَقْبَلَنَّ	نَمِيمَةً	بَلَّغْتَهَا	*****	وَتَحْفَظَنَّ	مَنْ	الَّذِي	أَنْبَاكَهَا
إِنَّ	الَّذِي	أَلْقَى	إِلَيْكَ	نَمِيمَةً	*****	سَيَنْمُ	عَنْكَ	بِمِثْلِهَا
قَدْ	حَاكَهَا							

بِمَ تَكُونُ النَّمِيمَةُ؟

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْعَزَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِحْيَاءِ: اعْلَمْ أَنَّ النَّمِيمَةَ إِنَّمَا تُطْلَقُ فِي الْأَكْثَرِ عَلَى مَنْ يَنْمُو قَوْلَ الْغَيْرِ إِلَى الْمَقُولِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ فِيكَ بِكَذَا قَالَ وَلَيْسَتْ النَّمِيمَةُ مَخْصُوصَةً بِهَذَا بَلْ حَدُّ النَّمِيمَةِ: كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ سَوَاءٌ كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوْ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ أَوْ ثَالِثٌ وَسَوَاءٌ كَانَ الْكَشْفُ بِالنِّكَايَةِ أَوْ بِالزَّمَنِ أَوْ بِالْإِمَاءِ فَحَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ إِفْشَاءُ السِّرِّ وَهَتْكُ السِّرِّ عَمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ فَلَوْ رَأَاهُ يُخْفِي مَا لَا لِنَفْسِهِ فَذَكَرَهُ فَهُوَ نَمِيمَةٌ.

مَا يَجِبُ عَلَى مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْعَزَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِحْيَاءِ: وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ وَقِيلَ لَهُ فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ أَوْ يَفْعَلُ فِيكَ كَذَا فَعَلَيْهِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الأول: أَلَا يُصَدِّقُهُ لِأَنَّ النَّمَامَ فَاسِقٌ.

الثاني: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ.

الثالث: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ بَغِضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الرابع: أَلَا يَظُنُّ بِأَخِيهِ الْغَائِبِ السَّوَاءَ.

الخامس: أَلَا يَحْمِلُهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ.

السادس: أَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نُهِيَ النَّمَامُ عَنْهُ فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ فُلَانٌ حَكَى كَذَا فَيَصِيرُ بِهِ نَمَامًا وَيَكُونُ آتِيًا مَا نُهِيَ عَنْهُ.

مَتَى يَجُوزُ نَقْلُ الْكَلَامِ؟

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ النَّمِيمَةِ: فَإِنْ دَعَتْ حَاجَةً إِلَيْهَا فَلَا مَنَعَ مِنْهَا وَذَلِكَ كَمَا إِذَا أَخْبَرَهُ بِأَنَّ إِنْسَانًا يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ أَوْ بِأَهْلِهِ أَوْ بِمَالِهِ أَوْ أَخْبَرَ الْإِمَامَ أَوْ مَنْ لَهُ وَلَايَةٌ بِأَنَّ إِنْسَانًا يَفْعَلُ كَذَا وَيَسْعَى بِمَا فِيهِ

مَفْسَدَةٌ وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْوَلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَتُهُ فَكُلُّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُ وَاجِبًا وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبًّا عَلَى حَسَبِ الْمَوَاطِنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^١

قَالُوا عَنِ النَّمِيمَةِ:

وقال المأمون: النميمة لا تَقْرُبُ مودةً إلا أفسدتها، ولا عداوةً إلا جددتها، ولا جماعة إلا بددتها، ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إليها أن يجتنب، ويخاف من معرفته، ولا يوثق بمكانه.^٢

وقيل: من سعى بالنميمة حذره الغريب، ومقتته القريب.

وقالوا: لم يمش ماش شر من واش. والساعي بالنميمة يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه.

وقيل: النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفسٍ سقيمةٍ وطبيعةٍ لئيمةٍ مشغوفةٍ بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار.

١ - شرح النووي على مسلم (١١٣ / ٢)

٢ - سراج الملوك (١ / ١٢٩)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(شَهَادَةُ الزُّورِ)

مَعْنَى الزُّورِ:

الزُّورُ لغةً: أصل ثلاثي يدل على الميل والانحراف، والتحسين والقوة.

فَالزُّورُ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي جُمِّلَ وَحُسِّنَ وَانْحَرَفَ عَنْ أَصْلِهِ بِشَدَّةٍ.

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٌ»^١.

تَحْرِيمُ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَوَجُوبُ أَدَائِهَا:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^٢.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^٣.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾^٤.

١ - رواه البخاري- كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، حديث: ٤٩٢٥، ومسلم- كتاب اللباس والزينة باب النهي عن التزوير في

اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط، حديث: ٤٠٦٦

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٨

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٣٥

٤ - سورة المعارج: الآيات/ ٣٣ : ٣٥

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^٢.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^٣.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^٤.

أَنِّي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِرِّكَ شَهَادَةِ الزُّورِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^٥.

أَيُّ: لَا يَشْهَدُونَ الشَّهَادَةَ الْكَاذِبَةَ، أَيُّ: شَهَادَةُ الزُّورِ، وَهِيَ الْكَذِبُ مُتَعَمِّدًا عَلَى غَيْرِهِ.

انْتِشَارُ شَهَادَةِ الزُّورِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذْكَرُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَطْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ»^٦.

وقول النبي ﷺ: «وَيَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ» يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه يراد به: شاهد الزور؛ فإنه يشهد بما لم يشهد؛ أي: بما لم يحمله.

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٨٣

٢ - سورة البقرة الآية / ١٤٠

٣ - سورة الطلاق الآية / ٢

٤ - سورة الفرقان الآية / ٧٢

٥ - سورة الفرقان: الآية / ٧٢

٦ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: ٢٥٢٩، ومسلم- كتاب فضائل

الصحابه رضي الله عنهم باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم، حديث: ٤٧٠٨

والثاني: أن يراد به الذي يحمله الشرُّ على تنفيذ ما يشهد به فيبادر بالشهادة قبل أن يُسألها. فهذه شهادة مردودة، فإن ذلك يدلُّ على هوى غالب على الشاهد.^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّهُمُ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّهُمُ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ». قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.^٢

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُرَادُ أَكْثَرُ لَا يَتَوَرَّعُونَ وَيَسْتَهِينُونَ بِأَمْرِ الشَّهَادَةِ وَالْيَمِينِ.^٣
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَا تَنْقُضِي هَذِهِ الدُّنْيَا، حَتَّى يَقَعَ بِهِمُ الْخُسْفُ، وَالْقَذْفُ، وَالْمَسْحُ، قَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتِ النِّسَاءَ رَكِبْنَ السُّرُوحَ، وَكَثُرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَفَشَتِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَاسْتَعْنَى الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ».^٤

شَهَادَةُ الزُّورِ تُخْبِطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».^٥

قِيلَ يَخْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ لَمْ يَدَعْ ذَلِكَ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِصَوْمٍ أَيْ مَنْ لَمْ يَتْرِكِ الْمَعَاصِيَ مَاذَا يَصْنَعُ بِطَاعَتِهِ وَيَخْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ حَالَةَ الصَّوْمِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِبَعْضِ الرِّوَايَاتِ قَوْلُهُ: (فَلَا حَاجَةَ إِلَّا) كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الْقَبُولِ وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَى عِبَادَةِ أَحَدٍ.^٦

١ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧ / ٢٩٦)

٢ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: ٢٥٣٠، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث: ٤٧٠٤

٣ - فتح الباري (٨ / ١٦١)

٤ - رواه الحاكم- كتاب الفتن والملاحم، حديث: ٨٤١٣، والطبراني في الأوسط- حديث: ٥١٦٤

٥ - رواه البخاري- كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، حديث: ١٨١٣

٦ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١ / ٥١٧)

شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.^١

شَهَادَةُ الزُّورِ تَعْدِلُ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ:

عَنْ حُرَيْمِ بْنِ قَاتِكٍ رضي الله عنه قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ: «عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ» ثَلَاثَ مَرَارٍ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾.^٢

شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ مُوجِبَاتِ النَّارِ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ».^٣ وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: الْقَضَاءُ فِي قَلِيلِ الْمَالِ وَكَثِيرِهِ سَوَاءٌ.^٤

شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَسْبَابِ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ

١ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، حديث: ٢٥٣٢، ومُسْلِمٌ - كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث: ١٥١

٢ - رَوَاهُ أَحْمَدُ حَدِيث: ١٨٥٣٨، وأبو داود - كتاب الأقضية، باب في شهادة الزور، حديث: ٣١٤١، وَابْنُ مَاجَه - كتاب الأحكام، باب شهادة الزور، حديث: ٢٣٦٩، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع والأقضية، ما ذكر في شهادة الزور، حديث: ٢٢٥٤٨، بسند ضعيف

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم يمين فاجرة بالنار، حديث: ٢٢١

٤ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٥٦)

الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^١.

مَا يَتَرْتَبُ عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ مِنَ الْجَرَائِمِ:

إن الله تبارك وتعالى حرم شهادة الزور، لكونها سبباً لإبطال الحق، وحرَمَ كتمانها، لكونه سبباً أيضاً لإبطال الحق، ويترتب على شهادة الزور من الضرر ما لا يعلم مداه إلا الله تعالى فبسببها تُزهق النفوس المعصومة، ويتنصّر الظالم على المظلوم، وتُهدر الحقوق، وتُؤكل الأموال بالباطل، وتُستباح الفروج المحرمة. ويترتب عليها كذلك نجاة الجاني من العقاب، ويترتب عليها كذلك اتهام البرءاء من الناس، وتبرئة المتهمين.

حكم الحاكم لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً:

ربما يظن بعض الناس أنه إذا توصل لأمر ما بحكم محكمة أن هذا الذي توصل إليه وهو ليس في الحقيقة حقاً له بل هو حق غيره، ربما ظن أن هذا الحكم يبرئ ساحته أمام الله تعالى، أو أن هذا الحكم يحل له حق أخيه، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»^٢.

قال الصنعاني: وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الْحَاكِمِ لَا يَحِلُّ بِهِ لِلْمَحْكُومِ لَهُ مَا حَكَمَ لَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ إِذَا كَانَ مَا ادَّعَاهُ بَاطِلًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَمَا أَقَامَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ كَاذِبًا، وَأَمَّا الْحَاكِمُ فَيَجُوزُ لَهُ الْحُكْمُ بِمَا ظَهَرَ لَهُ وَالْإِلْزَامُ بِهِ، وَتَحْلِيصُ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ مِمَّا حَكَمَ بِهِ لَوْ اِمْتَنَعَ وَيَنْفَعُ حُكْمُهُ ظَاهِرًا وَلَكِنَّهُ لَا يَحِلُّ بِهِ الْحَرَامُ إِذَا كَانَ الْمُدَّعِي مُبْطِلًا وَشَهَادَتُهُ كَاذِبَةً^٣.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، حديث: ٧٠٢٩، سورة آل عمران:

الآية / ٧٧

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، حديث: ٢٥٥٥

٣ - سبل السلام (٦ / ٤٠٧)

عقوبة شاهد الزور:

عَنْ مَكْحُولٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي شَاهِدِ الزُّورِ يُضْرَبُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَيُسَحَّمُ وَجْهُهُ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، وَيُطَافُ بِهِ، وَيُطَالُ حَبْسُهُ»^١.

١ - رواه ابن أبي شيبة - كتاب الحدود، في شاهد الزور ما يُعاقَب؟ حديث: ٢٨١٣١، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب آداب القاضي، جماع أبواب ما على القاضي في الخصوم والشهود، باب ما يفعل بشاهد الزور، حديث: ١٩٠٧٠

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(التَّائِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)

حُدُّ الْإِيلَاءِ:

الْإِيلَاءُ بِالْمَدِّ هُوَ الْحَلْفُ. وَهُوَ مُصَدَّرٌ يُقَالُ: آلَى بِالْمَدِّ يُولِي إِيلَاءً وَتَأَلَّى وَاتَّلى أَيَّ حَلْفٍ. وَآلَى يُؤَلِّي إِيلَاءً وَاتَّلى يَأْتِلِي ائْتِلَاءً وَتَأَلَّى تَأَلَّيًّا: أَقْسَمَ وَحَلَفَ. يُقَالُ: آتَيْتُ عَلَى الشَّيْءِ وَآتَيْتُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: (آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا)، أَيَّ حَلَفَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ، وَإِنَّمَا عَدَّاهُ بِمَنْ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى، وَهُوَ الْاِمْتِنَاعُ مِنَ الدُّخُولِ، وَهُوَ يَتَعَدَّى بِمَنْ وَلِلْإِيلَاءِ فِي الْفِقْهِ أَحْكَامٌ تَخَصُّهُ لَا يُسَمَّى إِيلَاءً دَوْهَاً. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عليه السلام: (لَيْسَ فِي الْإِصْلَاحِ إِيلَاءٌ) أَيَّ أَنَّ الْإِيلَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الضَّرَارِ وَالْعُضْبِ لَا فِي النَّفْعِ وَالرِّضَا.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْاِئْتِلَاءُ الْحَلْفُ؛ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَتَّأَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾، أَيَّ لَا يَحْلِفُ، لِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي حَلْفِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ لَا يُنْفَقَ عَلَى مِسْطَحٍ؛ وَقَرَأَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴿وَلَا يَتَّأَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾ بِمَعْنَاهُ وَهِيَ شَاذَّةٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (وَيُلِّ لِلْمُتَّالِينَ مِنْ أُمَّتِي)، يَعْنِي الَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُونَ فَلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَلَانٌ فِي النَّارِ.

وَقِيلَ: التَّائِي عَلَى اللَّهِ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ لَيَدْخِلَنَّ فَلَانًا النَّارَ، وَيُنَجِّسَنَّ اللَّهَ سَعْيَ فَلَانٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ الْمُتَّالِي عَلَى اللَّهِ.^١

فَعَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَّأَلِي عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».^٢

١ - تاج العروس (٣٧ / ٩١)

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، حَدِيثٌ: ٤٨٦٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَاخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ حَلَنِي وَرَبِّي أَبْعَثَتْ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلْآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.^١

عَنْ جَعْفَرِ الْعَبْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفُلَانٌ فِي النَّارِ».^٢

أنواع التألي:

التألي على الله أن لا يفعل المعروف:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾.^٣

قال العلامة الشنقيطي: (أي لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس. قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سبباً للامتناع من فعل الخير). انتهى^٤

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةِ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ، لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ.^٥

١ - رواه أحمد - حديث: ٨١٠٦، وأبو داود كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث: ٤٢٧٦، وابن حبان - كتاب الخطر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، حديث: ٥٧٩٠

٢ - رواه ابن بطة في الإبانة - بابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ الَّتِي تَصِيرُ بِصَاحِبِهَا إِلَى كُفْرٍ غَيْرِ خَارِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ، حديث: ١٠٤٩، بسند ضعيف

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٤

٤ - أضواء البيان (٥ / ٤٨٧)

٥ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابُ: هَلْ يُشِيرُ الْإِمَامُ بِالصُّلْحِ، حديث: ٢٧٠٥، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ اسْتِخْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدِّينِ، حديث: ١٥٥٧

وفي رواية عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَذَرٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، قَالَ كَعْبُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ فَاقْضِهِ».^١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.^٢

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الصَّدِيقِ، حِينَ خَلَفَ أَلَّا يَنْفَعُ مِسْطَحَ بْنَ أَثَاثَةَ بِنَافِعَةٍ بَعْدَمَا قَالَ فِي عَائِشَةَ مَا قَالَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ. فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَطَابَتِ النُّفُوسُ الْمُؤْمِنَةُ وَاسْتَقَرَّتْ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مَنْ كَانَ تَكَلَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، وَأَقِيمَ الْحَدُّ عَلَى مَنْ أَقِيمَ عَلَيْهِ - شَرَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ، يَعْطِفُ الصَّدِيقُ عَلَى قَرِيبِهِ وَنَسِيبِهِ، وَهُوَ مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ، فَإِنَّهُ كَانَ ابْنُ خَالَةِ الصَّدِيقِ، وَكَانَ مَسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ إِلَّا مَا يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ﷺ وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ وَلَقَ وَلُقِيَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهَا، وَضُرِبَ الْحَدُّ عَلَيْهَا. وَكَانَ الصَّدِيقُ، ﷺ مَعْرُوفًا بِالْمَعْرُوفِ، لَهُ الْفَضْلُ وَالْأَيَادِي عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَجَانِبِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَيْ: فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ الْمُذْنِبِ إِلَيْكَ نَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَصْفَحُ نَصْفَحُ عَنْكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الصَّدِيقُ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ - يَا رَبَّنَا - أَنْ تَغْفِرَ لَنَا. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنَ النَّفَقَةِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، فِي مُقَابَلَةٍ مَا كَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْفَعُهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا، فَلِهَذَا كَانَ الصَّدِيقُ هُوَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ بَنْتِهِ.^٣

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسَاجِدِ، حَدِيثٌ: ٤٧١، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْمَسَاقَاةِ، بَابُ اسْتِجَابِ

الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ، حَدِيثٌ: ١٥٥٨

٢ - سُورَةُ النُّورِ: الْآيَةُ/ ٢٢

٣ - تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٦/ ٣١)

الواجب على مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، أَنْ يَكْفُرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، بعض الناس قد يحلف لا يكلم أختاً، أو لا يدخل له بيتاً، فليس من البر اللجاجة في الخصام، ولا قطيعة الأرحام.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ»^١.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا»^٢.

الْإِيْلَاءُ مِنَ النِّسَاءِ:

قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٣.

قال ابن كثير: الإيْلَاءُ: الحَلْفُ، فَإِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ إِلَّا يُجَامِعَ زَوْجَتَهُ مُدَّةً، فَلَا يَحُلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا، فَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ، فَلَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ انْقِضَاءَ الْمُدَّةِ ثُمَّ يُجَامِعَ امْرَأَتَهُ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَصْبِرَ، وَلَيْسَ لَهَا مُطَالَبَتُهُ بِالْفَيْئَةِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَهَذَا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَنَزَلَ لِيَتَسَعَ وَعِشْرِينَ، وَقَالَ: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ" وَهُمَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُهُ. فَأَمَّا إِنْ زَادَتِ الْمُدَّةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ: إِمَّا أَنْ يَفِيءَ - أَي: يُجَامِعَ - وَإِمَّا أَنْ يُطَلِّقَ، فَيَجْزِيَهُ الْحَاكِمُ عَلَى هَذَا أَوْ هَذَا لِئَلَّا يَضُرَّ بِهَا^٤.

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الأيمان، باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، حديث رقم: ٣١٩٨

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، حديث: ٢٩٨١، ومسلم - كتاب

الأيمان، باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، حديث: ٣١٩٦

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٦، ٢٢٧

٤ - تفسير ابن كثير (١/ ٦٠٤)

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَلَمَّا مَضَى تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، غَدَا أَوْ رَاحَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ شَهْرًا، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا».^١

مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّهُ».^٢

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَسَرَتِ الرُّبِيعُ وَهِيَ عَمَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ثَنِيَّةٌ جَارِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَطَلَبَ الْقَوْمُ الْقِصَاصَ، فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: لَا وَاللَّهِ، لَا تُكْسِرُ سِنُّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ» فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّهُ».^٣

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ الْحَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتْلٍ، جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ».^٤

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلََالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا»، حَدِيثٌ:

١٩١٠، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ الشَّهْرِ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، حَدِيثٌ: ١٠٨٥

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَذَابِ، بَابُ فَضْلِ الضُّعَفَاءِ وَالْحَامِلِينَ، حَدِيثٌ: ٢٦٢٢

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصُّلْحِ بَابُ الصُّلْحِ فِي الدِّيَةِ، حَدِيثٌ: ٢٧٠٣

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣]، حَدِيثٌ: ٤٩١٨، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ

نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ النَّارِ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، حَدِيثٌ: ٢٨٥٣

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الثَّرَثَةُ)

حُدُّ الثَّرَثَةِ:

الثَّرَثَةُ: كثرة الأكل والكلام في تخطيط وترديد.^١

الثَّرَثَةُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مِنْ أخطر آفَاتِ اللِّسَانِ عَلَى صَاحِبِهَا، فَالثَّرَثَارُ مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ لِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ كَذَلِكَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَالثَّرَثَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ، وَسَبَبُ قَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَسُقُوطِ صَاحِبِهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَقِلَّةِ هَيْبَتِهِ، وَدَلِيلُ قِلَّةِ الْعَقْلِ، وَالبعد عن الإيمان.

الثَّرَثَارُونَ أَبْغَضُ النَّاسِ لِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

أَمَّا دَلِيلُ كَوْنِ الثَّرَثَارِ مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ لِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ أَبْعَدَ النَّاسَ عَنْ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ مَا رَوَى عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».^٢

١ - لسان العرب (٤ / ١٠١)

٢ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، حديث: ٢٠١٨، وهناد بن السري في الزهد - باب حسن الخلق، حديث: ١٢٤٩

الثَّرَثَةُ مِنْ أَسْبَابِ فَسْوَةِ الْقَلْبِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أْبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي»^١.

وإنما كان الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب لأن القلب لا يلين إلا بذكر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٢.

فذكر الله تعالى هو غذاء القلب، ومصدر قوته، وترياقه الشافي له من الشهوات والشبهات، وبل هو حياة القلب، فإذا انقطع ذلك عنه ضعف القلب وتمكنت منه أمراض الشهوات والشبهات ففسى، فاستحق البعد عن رحمة الله تعالى، أعاذنا الله من الخزي والخذلان.

وروى مالك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ: «يَقُولُ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَفْسُدُ قُلُوبُكُمْ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ. وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى وَمُعَاقٍ فَأَرْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ»^٣.

الثَّرَثَةُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ:

فإذا كانت الثرثرة مشتملة على السخرية والاستهزاء بشيء من الشرع أو بالمؤمنين فإن ذلك دليل على النفاق وسوء الطوية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرَّ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾^٥.

١ - رواه الترمذي - أبواب الرُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مِنْهُ، حديث: ٢٤١١، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٠، بسند ضعيف

٢ - سورة الرعد: الآية / ٢٨

٣ - رواه مالك في الموطأ - كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، حديث: ١٧٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٠، بسند ضعيف

٤ - سورة التوبة الآية / ٦٥

وقد أثنى الله تعالى على من أعرض عن اللغو وأخبر أن الإعراض عنه من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^١.

وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾^٢.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ نُورٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَنُورٌ فِي الْأَرْضِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّهُ يُمَيِّتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ نُورَ الْوَجْهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةٌ أُمِّي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَرَدَّةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: صِلْ قَرَابَتَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: لَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لائِمَةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: تُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ لَا عَقْلَ كَالْتَذَكُّيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ^٣.

الْثَّرْتَةُ دَلِيلُ سُوءِ الْخُلُقِ:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أْبَعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي مَسَاوِيَكُمْ أَخْلَاقًا الثَّرَثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ»^٤.

٥ - سورة المطففين: الآية / ٢٩، ٣٠

١ - سورة المؤمنون الآية / ١: ٣

٢ - سورة الطور: الآية / ١١، ١٢

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، حديث: ٤٢١٦، الطبراني في الكبير - حديث: ١٦٣٠، بسند ضعيف

٤ - رواه أحمد حديث: ١٧٤١٧، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة - التي هي شرط في قبول الشهادة - على طريق الاختصار، حديث: ١٩٣٤٩، وابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من أحب العباد إلى الله، حديث: ٤٨٣، بسند صحيح

قال الشيخ مُلا عليّ القاري رَحِمَهُ اللهُ: وهو يعني قوله: «الْثَّرَاوُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ» إما بدل من مساويكم أخلاقاً فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوأ الأخلاق؛ لأن المبدل كالتمهيد والتوطئة، وإما رفع على الذم، فإنه خبر مبتدأ محذوف، فيكون أشنع وأبلغ، وفي النهاية: الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق، من الثثرة وهي: كثرة الكلام وترديده.^١

ومما يدل على أن الثثرة من مساوئ الأخلاق، ومن قبيح الصفات، ما حكاه الله تعالى عن حال الشعراء، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.^٢

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق، لان من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت، ولم يكن هائماً يذهب على وجهه لا يبالي ما قال.^٣

الْثَّرَاوُونَ شِرَارُ النَّاسِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا، وَإِنَّ شِرَارَكُمْ الثَّرَاوُونَ، الْمُتَفَيِّهُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ».^٤

وإذا كان الثرثارون أقبح الناس أخلاقاً كانوا من شرار الناس؛ وإذا كانوا من شرار الناس، كانوا أقبح الناس أخلاقاً لقبح صفاتهم، وسوء أفعالهم.

الْثَّرَثَةُ مِنْ أَسْبَابِ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

من أسباب الحسرة يوم القيامة أن يجلس العبد مجلساً ثم يقوم ولم يذكر الله تعالى فيه، ولو لم يكن فيه شيء من الكلام الحرام، فكيف الحال إذا كان المجلس كله خوض في الباطل، أو وقوع في الغيبة والنميمة والبهتان، والسخرية والاستهزاء نسأل الله تعالى السلامة.

١ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦٨ / ١٤)

٢ - سورة الشعراء الآية / ٢٢٤، ٢٢٥

٣ - تفسير القرطبي (١٥٢ / ١٣)

٤ - رواه البزار في مسنده - حديث: ١٥٢٦، والطبراني، حديث: ٤٥٢١، بسند حسن

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلَّا رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

وكما لا يجوز الخوض في الباطل لا يجوز سماع الباطل، ومجالسة من يخوض فيه، فإن المستمع شريك المتكلم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٢.

قال أبو حيان رحمه الله: حكم تعالى بأنهم إذا قعدوا معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهنئون بها، وهم قادرون على الإنكار مثلهم في الكفر، لأنهم يكونون راضين بالكفر، والرضا بالكفر كفر. والخطاب في أنكم على الخلاف السابق أهو للمنافقين؟ أم للمؤمنين؟ ولم يحكم تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة بأنهم مثل المشركين، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار بخلاف المدينة، فإن الإسلام كان الغالب فيها والأعلى، فهم قادرون على الإنكار، والسامع للذم شريك للقاتل.

الْثَّرْتَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:

من أسباب دخول النار عيادا بالله أن يخوض العبد مع الخائضين، فإذا تكلموا في الدنيا تكلم معهم، وإذا ولغوا في أعراض الناس ولغ معهم، وإذا سخروا واستهزؤوا سخر واستهزأ معهم، وإذا خاضوا في آيات الله تعالى خاض معهم، فاستحقوا بذلك النار؛ لأن هذه صفات المجرمين.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾^٣.

١ - رواه أحمد - حديث: ٦٩٣٣، بسند صحيح

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٦٨

٣ - سورة المدثر: الآيات / ٣٨ - ٤٥

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي نتكلم فيما لا نعلم.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: كلما غوي غاؤ غوينا معه.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الثَّرَثَرَةَ:

فَعَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُثُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتٍ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^١.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: جَعَلَ الْقَالَ مَصْدَرًا كَأَنَّهُ قَالَ: نَهَى عَنْ قِيلٍ وَقَوْلٍ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَمَانِ، وَقِيلَ: أَرَادَ النَّهْيَ عَنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ مُبْتَدَأً وَمُجْبِئاً، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ حِكَايَةَ أَقْوَالِ النَّاسِ وَالْبَحْثَ عَمَّا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ خَيْرًا وَلَا يَنْعِيهِ أَمْرُهُ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعَضْنَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ أَيْ كَثْرَةُ الْقَوْلِ وَإِقَاعِ الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَخْكِي الْبَعْضُ عَنِ الْبَعْضِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: فَفَشَتِ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ^٢.

وما أحسن ما قال الشاعر:

وسمعتك صن عن سماع القبيح ***** كصون اللسان عن النطق به

قال ابن عطية: وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة كقول الشاعر:^٣

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ***** فكل قرين بالمقارن يقتدي

١ - رواه البخاري- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، حديث: ٦٨٨٣، ومسلم-

كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث: ٣٣٢٣

٢ - لسان العرب (١١ / ٥٧٤)

٣ - تفسير البحر المحيط (٣ / ٣٠٤)

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^١.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتُم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ويستَهْزَأُ وينتقص بها، وأقرتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ في المأثم^٢.

فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية^٣.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^٥.

١ - سورة النساء: الآية/١٤٠

٢ - تفسير ابن كثير: ١ / ٦٩٩

٣ - تفسير القرطبي (٥ / ٤١٨)

٤ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٦٦٦٠، والقضاعي في مسند الشهاب - من كثر كلامه كثر سقطه، حديث: ٣٥٧، بسند ضعيف

٥ - رواه مسلم - كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث: ٣٣٢٢

وَعَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «يَا أَخْنَفُ، مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، مَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ»^١.

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٢٢٩٩، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث:

فَضْلُ الصَّمْتِ وَمَنْزِلَتُهُ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَذُنُكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخْفُ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمَا»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^٢.

في الصمت نجاة:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^٣.

الصمت هدي النبي ﷺ:

عَنْ سِمَاكِ قَالَ: قُلْتُ لِحَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتُ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشَّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ، وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ»^٤.

-
- ١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٧١٠٣، والبخاري - حديث: ٧٠٠١، والبيهقي في الشعب - باب في حسن الخلق، حديث: ٧٦٤١، وأبو يعلى الموصلي في مسنده - حديث: ٣٢٩٨، بسند ضعيف
- ٢ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١٢٠، ورواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، حديث: ٣٣٤٢
- ٣ - رواه أحمد - حديث: ٦٣٠٨، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، حديث: ٢٤٨٥، والدارمي - ومن كتاب الرقاق باب: في الصمت، حديث: ٢٦٦٧، والطبراني في الكبير - حديث: ١٣٥٤٣، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٥٨، بسند صحيح
- ٤ - رواه أحمد - حديث: ٢٠٣٠٤، والترمذي في الشمائل - باب ما جاء في صفة كلام رسول الله ﷺ، حديث: ٢٤١، وابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، باب التفاخر، ذكر الإباحة للمرء أن ينشد الأشعار ما لم يكن فيها خنا، حديث: ٥٨٦٠، بسند صحيح

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ»^١.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً تَكَلَّمَ فَعَنِمَ، أَوْ سَكَتَتْ فَسَلِمَ»^٢.

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ لَبَّى عَلَى الصَّفَا، ثُمَّ قَالَ: يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ أَوْ اصْمُتْ تَسْلَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ سَمِعْتَهُ قَالَ: لَا، بَلْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»^٣.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَقَامُ الرَّجُلِ لِلصَّمْتِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً»^٤.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حُنَيْسٍ الْمَكِّيُّ: دَخَلْنَا عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ نَعُوذُهُ فِي دَارِ الْعَطَّارِينَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَسَّانَ الْمَخْزُومِيُّ يَعُوذُهُ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ الْحَدِيثُ الَّذِي كُنْتَ حَدَّثْتَنِيهِ، عَنْ أُمِّ صَالِحٍ أَرْدَدَهُ عَلَيَّ، فَقَالَ: حَدَّثْتَنِي أُمُّ صَالِحٍ بِنْتُ صَالِحٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: "مَا أَشَدُّ هَذَا الْحَدِيثَ!"

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ حديث: ٣٣٩٥، ومسلم - كتاب الزهد والرفائق، باب الثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث: ٥٤٣٦

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٩، والشهاب القضاعي - رحم الله عبدا قال فغنم، حديث: ٥٥١

٣ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٤، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت - باب حفظ اللسان وفضل الصمت، حديث: ١٨

٤ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣١

فَقَالَ سُفْيَانُ: "وَمَا شِدَّةُ هَذَا الْحَدِيثِ؟ إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَنِ امْرَأَةٍ. هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ نَبِيِّكُمْ ﷺ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]؟ فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.

أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]؟ فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.

أَوْ مَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢]؟ فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.^١

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُثُوقَ الْأُمَمَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ يُعْطَى زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ، فَافْتَرَبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ».^٣

وَعَنِ الْأَخْنَفِ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُسَبِّحُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: "إِمْلَأْ الْخَيْرَ عَلَى خَيْرِ أَلَيْسَ خَيْرًا؟" قَالَ: قُلْتُ: بَلَى أَصْلَحَكَ اللَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ تَسْبِيحِهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟" قُلْتُ: بَلَى. ثُمَّ قَالَ: "وَجَلِيسُ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟" قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟" قُلْتُ: بَلَى.^٤

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٢، وابن الأعرابي في معجمه، حديث: ٣٤٠.

٢ - رواه البخاري ومسلم، وتقدم تخرجه.

٣ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٥٩، بسند ضعيف.

٤ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٦٦.

وَعَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: "مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ كَثُرَ مِرَاخُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ".^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْكَلَامِ بِحَسَبِ الرَّجُلِ أَنْ يَبْلُغَ حَاجَتَهُ".^٢
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: "إِنَّ حَقَّ مَا طَهَّرَ الْإِنْسَانَ لِسَانَهُ".^٣

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: "لَا يَتَّقِي اللَّهُ عَبْدٌ حَقَّ ثِقَاتِهِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ".^٤
وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هَالِلٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ذَرَّ مَا لَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَنْطِقْ فِيَمَا لَا يَعْنِيكَ، وَاحْزَنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزِنُ دَرَاهِمَكَ".^٥

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: "إِنَّ الْكَلَامَ بِسَبْعَةِ أَغْلَاقٍ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ كُتِبَ، وَإِذَا لَمْ يَخْرُجْ لَمْ يُكْتَبِ الْقَلْبُ وَاللِّهَاءُ وَاللِّسَانُ وَالْحَنَكَيْنِ وَالشَّفَتَيْنِ".^٦

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: "أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَعَهَا نِسْوَةٌ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَاللَّهِ لَأَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ، وَمَا زَنَيْتُ يَوْمًا، وَمَا سَرَقْتُ، فَأَتَيْتُ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهَا: أَنْتِ الْمُتَأَلِّيَةُ لَتَدْخُلِي الْجَنَّةَ كَيْفَ وَأَنْتِ تَبْخَلِينَ بِمَا يَعْنِيكَ، وَتَتَكَلَّمِينَ فِيَمَا لَا يَعْنِيكَ؟ فَلَمَّا أَصْبَحَتْ

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٢٢٩٩، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٦٨

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٧٢

٣ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٧٦

٤ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٥٧١٧، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ١١٧٤، ورواه أحمد في كتاب الزهد - حديث: ٤٧٧٨

٥ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨١

٦ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٢

الْمَرْأَةُ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا رَأَتْ، وَقَالَتْ: أَجْمَعِي النِّسْوَةَ اللَّائِي كُنَّ عِنْدَكَ حِينَ قُلْتَ مَا قُلْتَ. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ عَائِشَةُ فَجِئْنَ، فَحَدَّثَتْهُنَّ الْمَرْأَةُ بِمَا رَأَتْ فِي الْمَنَامِ^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهِيدًا، فَبَكَتْ بَاكِئَةً، فَقَالَتْ: وَاشْهِيدَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ شَهِيدٌ فَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْحُلُ بِفَضْلِ مَا يَعْنِيهِ"^٢.

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَبِّيُّ، قَالَ: خَرَجَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَخَرَجَ مَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ يُشَيِّعُونَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ حِصْنَ الْمَسَاكِينِ، قَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: "أَلَا لَا تُدْخِلُوا هَذَا حَبِيشًا؟ وَأَوَى يَدَيْهِ إِلَى فِيهِ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْهُ حَبِيشًا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ"، قَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: "أَلَا وَلَا يَحُولَنَّ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا أَبْصَرَ بِأَبْهَا مِلءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ مُسْلِمٍ أَهْرَاقَهُ"^٣.

وَعَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "يَا بُنَيَّةُ لَا تَكَلِّمِي بِالشَّيْءِ الَّذِي إِذَا عُرِفَتْ بِهِ تَعَذَّرْتَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ إِلَّا مِنَ الْقَبِيحِ"^٤.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "مَنْ لَمْ يَعُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ، وَمَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ"^٥.

وَقَالَ الْقَعْنَبِيُّ، قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَعَهُ: "أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُونَ فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، انْظُرُوا فِيهَا كَأَنَّكُمْ عُبِيدٌ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى وَمُعَاقَى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ"^٦.

١ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٣، بسند ضعيف

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٤، بسند صحيح

٣ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٥

٤ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٦

٥ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩٤

٦ - رواه مالك في الموطأ - كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، حديث: ١٧٩٧

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ: سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ عَنِ الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: "رَأْسُ الْعِبَادَةِ التَّفَكُّرُ وَالصَّمْتُ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي حَرْفٌ عَنْ لُثْمَانَ قَالَ: قِيلَ لَهُ: يَا لُثْمَانُ مَا بَلَغَ مِنْ حِكْمَتِكَ؟ قَالَ: لَا أَسْأَلُ عَمَّا قَدْ كُفِيتُ، وَلَا أَتَكَلَّفُ مَا لَا يَعْنِينِي، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ بَشَّارٍ، إِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَصْمُتَ أَوْ يَتَكَلَّمَ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ مَوْعِظَةٍ أَوْ تَنْبِيهِ أَوْ تَخْوِيفٍ أَوْ تَحْذِيرٍ".^١

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "كُنَّا فِي أَقْوَامٍ يُنْفِقُونَ أَوْرَاقَهُمْ وَيُخَزِّنُونَ أَلْسِنَتَهُمْ، وَإِنَّا بَقِينَا فِي أَقْوَامٍ يُرْسِلُونَ أَلْسِنَتَهُمْ، وَيُخَزِّنُونَ أَوْرَاقَهُمْ".^٢

وَقَالَ مُورِقُ الْعَجَلِيِّ: "أَمَرْتُ أَنَا فِي طَلَبِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَسْتُ بِتَارِكٍ طَلَبَهُ أَبَدًا" قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ قَالَ: "الصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي".^٣

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرِ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَسْجِدٍ فَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا تَكَلَّمَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ فَإِنَّهُ سَاكِتٌ فَقُلْتُ: لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: "الْكَلَامُ يُظْهِرُ حُوقَ الْأَحْمَقِ وَعَقْلَ الْعَاقِلِ فَقُلْتُ: لَا نَتَكَلَّمُ إِذَا كَانَ هَكَذَا الْكَلَامُ! فَقَالَ: إِذَا اغْتَمَمْتَ بِالسُّكُوتِ فَتَذَكَّرْتَ سَلَامَتَكَ مِنْ زَلِّ اللِّسَانِ".^٤

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ، قَالَ: «كَانَ يُقَالُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْعَالِمِ الْحَلِيمِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِحِلْمٍ». ^٥

١ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء - حديث: ١١٣٢٠

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٨٠٣

٣ - رواه ابن أبي شيبة - كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، مطرف بن الشخير، حديث: ٣٤٤٧٤، وأحمد بن حنبل في الزهد - أخبار موريق العجلي رحمه الله تعالى، حديث: ١٧٨٠، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٨٠٤

٤ - رواه أبو نعيم في الحلية - حديث: ١١٣٣٢

٥ - رواه أبو نعيم في الحلية - حديث: ١١٣٦١

وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

لِسَانُ الْمَرْءِ يَنْبِئُ عَنْ حِجَاةٍ ***** وَعِي الْمَرْءِ يَسْتَرُّهُ السِّكُوتُ

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ (قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ)

حُدُّ الْقَذْفِ:

الْقَذْفُ والرمي معناه أن يسب إنساناً مسلماً عفيفاً بالزنى، وقيل له رمي وقَذْفٌ؛ لأن فيه إيذاء للغير هو أشد وأبلغ من الإيذاء برمي السهام والرماح.

كما قيل:

وَقَدْ يُرْجَى لِحَرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ ***** وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقيل:

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ هَا السِّتَامُ ***** وَلَا يَلْتَأُمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

حُكْمُ قَذْفِ الرِّجَالِ:

قال القرطبي: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الْمُحْصَنِينَ فِي الْقَذْفِ كَحُكْمِ الْمُحْصَنَاتِ قِيَاسًا وَاسْتِدْلَالًا.

قالوا: وهذا نحو نصه تعالى على تحريم لحم الخنزير، ودخل شحمه وغضاريفه في التحريم بالإجماع.^١

وأما قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ فقد قيل: إن المعنى: والأنفس المحصنات، فهي بلفظها تعم الرجال والنساء، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.^٢

وقال قوم: أراد بالمحصنات الفروج، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.^٣

١ - تفسير القرطبي (٢٠٩ / ١٢)

٢ - سورة النساء: الآية / ٢٤

فيدخل فيه فروج الرجال والنساء.

أنواع القذف:

القذف نوعان:

١- قذفٌ بالفاظٍ صريحة.

٢- قذفٌ بالفاظٍ فيها تعريضٌ بالمخاطب.

حُكْمُ التصريح بالقذف.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

رتب الله تعالى على القذف أحكامًا ثلاثة:

أحدها: أن يجلد القاذف ثمانين جلدة.

الثاني: أنه ترد شهادته دائمًا.

الثالث: أن يحكم عليه بالفسق.

حكم التعريض بالزنا في القذف:

اتفق العلماء على أنه إذا صرح بالزني كان قذفًا ورميًا موجبًا للحد، فإن عرّض ولم يصرح فقال مالك: هو قذف.

ومثال التعريض أن يقول: ما أُمي بزانية، ولا أبي بزنان.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يكون قذفًا حتى يقول أردت به القذف.

٣ - سورة الأنبياء: الآية / ٩١

١ - سورة النور: الآية / ٤، ٥

وقال مالك: حكم التعريض مثل حكم التصريح، والدليل لما قاله هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المعرة التي أوقعها القاذف بالمقذوف، فإذا حصلت المعرة بالتعريض وجب أن يكون قذفاً كالتصريح، والمعول على الفهم، وقد قال تعالى مخبراً عن شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^١.

أي السفهية الضال، فعرضوا له بالسب بكلام ظاهر المدح في أحد التأويلات.

وقال تعالى في أبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^٢.

وقال حكاية عن مريم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾^٣.

فمدحوا أباهما ونفوا عن أمها البغاء أي الزنى، وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَبَكَفُّهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^٤.

وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التعريض لها، أي ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك بغياً، أي أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد.

وَقَدْ حَبَسَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخُطِيئَةَ لَمَّا قَالَ:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِيُغَيِّتَهَا ***** وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

لأنه شبهه بالنساء في أنهن يطعنن ويسقين ويكسون.

١ - سورة هود: الآية / ٨٧

٢ - سورة الدخان: الآية / ٤٩

٣ - سورة مريم: الآية / ٢٨

٤ - سورة النساء: الآية / ١٥٦

حكم قذف المملوك والخدم:

ربما يتساهل بعض الناس في قذف خادمه أو مملوكه ويظن أنه لن يحاسب على ذلك وقد حذر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ، جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ»^١.

حكم التائب بعد القذف:

فإذا تاب القاذف بعد الحد فهل تقبل شهادته ويرتفع فسقه؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق.

وهو قول مالك والشافعي وأحمد واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢.

عن حُصَيْنٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا جُلِدَ حَدًّا فِي قَذْفِ بَالِغَةٍ فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ ضَرْبِهِ أَحْدَثَ تَوْبَةً قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ فَلَقِيتُ أَبَا الزِّنَادِ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لِي: الْأَمْرُ عِنْدَنَا إِذَا رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ وَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ^٣.

الثاني: أن الفسق يرتفع بالتوبة، ولكنه يبقى مردود الشهادة أبدًا. وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله، قال: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبدًا. ومن

١ - رواه البخاري- كتاب الحدود، باب قذف العبيد، حديث: ٦٤٨٠، ومسلم- كتاب الإيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه

بالزنا، حديث: ٣٢٢٣

٢ - سورة النور: الآية / ٥

٣ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، والبيهقي- كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف،

حديث: ١٩١٢٨

ذهب إليه من السلف القاضي شريح، وإبراهيم التَّحِيي، وسعيد بن جُبَيْر، ومكحول، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه بأنه قد قال البهتان، فحينئذ تقبل شهادته، والله أعلم.

قَدْ فُ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُؤَبَّاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَدْ فُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^١.

قال النووي: وَأَمَّا (الْمُؤَبَّاتِ) فَهِيَ الْمُهْلِكَاتُ يُقَالُ: وَبَقَ الرَّجُلُ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَيَبِقُ بِكَسْرِهَا، وَوَبِقَ بِضَمِّ الْوَاوِ وَكَسَرِ الْبَاءِ يُوبِقُ: إِذَا هَلَكَ. وَأُوبِقَ غَيْرُهُ أَيُّ أَهْلَكَهُ. وَأَمَّا (الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ) فَبِكَسْرِ الصَّادِ وَفَتْحِهَا قِرَاءَتَانِ فِي السَّبْعِ: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِالْكَسْرِ، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، وَالْمُرَادُ بِالْمُحْصَنَاتِ هُنَا الْعَقَائِفُ، وَبِالْغَافِلَاتِ الْغَافِلَاتُ عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَمَا قُذِفْنَ بِهِ. وَقَدْ وَرَدَ الْإِحْصَانُ فِي الشَّرْعِ عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ: الْعِفَّةُ، وَالْإِسْلَامُ، وَالنِّكَاحُ، وَالتَّزْوِيجُ، وَالْحُرِّيَّةُ^٢.

قَدْ فُ الْمُحْصَنَاتِ مُحَرَّمٌ فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ لَا تَقُلْ نَبِيٌّ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ. فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلَهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيَّنَّاتٍ فَقَالَ هُنَّ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَمْسُوا بِرِيٍّ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ وَلَا تَسْجُرُوا وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلَا تَقْدِفُوا الْمُحْصَنَةَ وَلَا تَوَلُّوا يَوْمَ الرَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَنْ لَا

١ - رواه البخاري - كتاب الحدود، باب رمي المحصنات - حديث: ٦٤٧٩، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها -

حديث: ١٥٤

٢ - شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٢)

تَعْدُوا فِي السَّبْتِ». فَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ وَقَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي». قَالُوا إِنَّ دَاوُدَ دَعَا بِأَنْ لَا يَزَالَ مِنْ دُرَيْتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودُ.^١

وقوله في الحديث: (كَانَ لَهُ أَرْعَةُ أَعْيُنٍ). قال التوريشتي: "أي لسرَّ بقولك سرورًا يزداد به نورًا إلى نوره، كذي عينين أصبح يبصر بأربع".

وقال الطيبي: "هو كناية عن السرور المضاعف؛ لأنهم يكونون عن السرور بكرة العين".^٢
فقول النَّبِيِّ ﷺ: «وَلَا تَقْذِفُوا الْمُحْصَنَةَ» مع قوله ﷺ: «وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ». يدل على أَنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ محرم على اليهود كما هو محرم على هذه الأمة.

قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ:

من خطر قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ أَنَّهُ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ وهذا يدل على خطر هذا الذنب وقبح هذه المعصية فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ».^٣
قال المناوي: أي يحبط من الأعمال الحسنة التي قدمها القاذف عمل مئة سنة بفرض أنه عمر وتعبد مئة عام وهذا تغليظ شديد وحث عظيم على حفظ اللسان عن ذلك والظاهر أن المراد بالمائة التكرير لا التحديد قياساً على نظائره المارة ومن هذا الوعيد الشديد أخذ أنه كبيرة.^٤
وعن عطاء، قال: إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ فِي غَضَبِهِ بِكَلِمَةٍ، يَهْدِمُ بِهَا عَمَلَ سِتِينَ سَنَةٍ، أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً.^٥

١ - رواه أحمد، حديث: ١٧٧٧٥، والترمذي - أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث:

٣١٥٢، والنسائي في السنن الكبرى - كتاب تحريم الدم، باب السحر، حديث: ٣٤١٩، بسند ضعيف

٢ - قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٦٩٤)

٣ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ٢٩٥٣، والخرائطي في مساوئ الأخلاق - باب ما يذكر من قذف المحصنات، حديث: ٧٠٣،

بسند ضعيف

٤ - فيض القدير (٢/ ٤٧٤)

٥ - فتح الباري لابن رجب (١/ ١٨٤)

قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ أَقْبَحُ مِنَ الرِّبَا وَمِنَ الزِّنَا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»^١.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ»^٢.

قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ يوجب الطرد من رحمة الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^٣.

قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ يصل في بعض الأحيان إلى الكفر بالله تعالى:

بعض المنتسبين إلى الإسلام زورًا وبهتانًا، يحملهم الحقد وعداوة هذا الدين على رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها، يحملهم عدائهم للدين على رميها بالفاحشة، وهذا كفر لأنه تكذيب لصريح القرآن.

قال ابن كثير رحمه الله: فَأَمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ أُولَى بِالِدُخُولِ فِي هَذَا مِنْ كُلِّ مُحْصَنَةٍ، وَلَا سِيَّمَا الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ النُّزُولِ، وَهِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّهَا بَعْدَ هَذَا وَرَمَاهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ بَعْدَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُعَانِدٌ لِلْقُرْآنِ.^٤

١ - رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ - حَدِيث: ٥٢٦١، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ - كِتَابُ الْبَيُوعِ، حَدِيث: ٢٢٠٠، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٢ - رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي الْغِيْبَةِ، حَدِيث: ٤٢٥٤، وَابْنُ بَرَكَةَ - حَدِيث: ١١٢٦، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٣ - سُورَةُ النُّورِ: الْآيَةُ ٢٣: ٢٥

٤ - تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٦ / ٣٢)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْيَمِينُ الْغَمُوسُ)

من الآفات التي يقع فيها بعض الناس الحلف على أمر هو يعلم أنه فيه كاذب وهذا هو اليمينُ الغمُوسُ، واليمينُ الغمُوسُ سُمِّيت بذلك، لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار عياذاً بالله، ولا كفارة فيها؛ لأنها يمين غير منعقدة، ولأن المنعقد ما يمكن حله ولا يتأتى في اليمين الغموس البر أصلاً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١.

وجوب حفظ اليمين:

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^٢.

اليمين ثلاثة أقسام:

الأول اليمين اللغو:

وهي: اليمين التي تجري على لسان الحالف بغير قصد الحلف كقوله في أثناء كلامه: (لا والله، وبلى والله).

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^٣.

١ - سورة آل عمران: الآية / ٧٧

٢ - سورة المائدة: الآية / ٨٩

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٥

وَالثَّانِي الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ:

وهي: اليمين التي قصد عقدها على أمر مستقبل ممكن.

وَعَقْدُ الْيَمِينِ مَا التَزَمَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ حِنْثٍ وَبَرٍّ، فَخَرَجَتْ الْيَمِينُ الْعُمُوسُ مِنَ الْإِيمَانِ الْمَعْقُودَةِ، فَلَمْ يَلْزَمْ بِهَا كَفَّارَةٌ.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١.

وَالثَّالِثُ الْيَمِينُ الْعُمُوسُ:

وهي: أن يحلف على أمر ماضٍ كاذبًا عَالِمًا.

وُسَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَعْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ أَوْ فِي النَّارِ وَهِيَ مِنَ الْكِبَائِرِ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٢.

ومعنى دَخَلًا أَي مَكْرًا وَخِيَانَةً.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ فِيهَا كَفَّارَةٌ أَمْ لَا عَلَى قَوْلَيْنِ:

الأول: فِيهَا كَفَّارَةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ الْآيَةَ. وَلَئِنَّهُ حَلَفَ بِاللَّهِ وَهُوَ مُحْتَازٌ كَاذِبٌ فَصَارَ كَمَا لَوْ حَلَفَ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ وَالْإِثْمُ لَا يَمْنَعُ وَجُوبَهَا كَمَا فِي الظَّهَارِ وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَالْأَوْزَاعِيِّ.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٨٩

٢ - سورة النحل: الآية/ ٩٢

وَالثَّانِي: لَيْسَ فِيهَا كَفَّارَةٌ. وَقَالَ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^١.

كراهية كثرة الحلف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ خَلَافٍ مَّهِينٍ﴾^٢.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^٣.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٤.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: حَذَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَيْمَانِ دَخَلًا أَيْ خَدِيعَةً وَمَكْرًا، لِأَنَّهُ تَزِلُّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا: مَثَلٌ لِمَنْ كَانَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ فَحَادَ عَنْهَا وَزَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، بِسَبَبِ الْأَيْمَانِ الْخَائِنَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا رَأَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ عَاهَدَهُ ثُمَّ غَدَرَ بِهِ، لَمْ يَبْقَ لَهُ وَثُوقٌ بِالَّذِينَ، فَانْصَدَّ بِسَبَبِهِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٥.

١ - سورة الْمَائِدَةِ: الآية / ٨٩

٢ - سورة الْقَلَمِ: الآية / ١٠

٣ - سورة النحل: الآية / ٩١، ٩٢

٤ - سورة النحل: الآية / ٩٤

٥ - تفسير ابن كثير (٤ / ٦٠٠)

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ الْفَقْرِ:

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ تُسَبِّبُ الْفَقْرَ، وَتُذْهِبُ الْمَالَ؛ فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تُذْهِبُ الْمَالَ أَوْ تَذْهَبُ بِالْمَالِ».^١

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ الْعُقْمِ:

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ يَمِينُ فَاجِرَةٌ تُسَبِّبُ الْعُقْمَ وَتَقْطَعُ النِّسْلَ؛ فَعَنْ أَبِي سُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ الَّتِي يَفْتَطَعُ بِهَا الرَّجُلُ مَالَ الْمُسْلِمِ تَعْقِمُ الرَّحِمَ».^٢

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ ظُلْمَةِ الْقَلْبِ:

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ ظُلْمَةِ الْقَلْبِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينَ صَبْرٍ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا جُعِلَتْ نُكُتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».^٣
قَوْلُهُ: «يَمِينُ صَبْرٍ». أَيُّ الْأَرْزَمِ بِهَا وَحُسْنِ عَلَيْهَا وَكَانَتْ لَارِزَمَةً لِصَاحِبِهَا مِنْ جِهَةِ الْحُكْمِ.

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ لَا كَفَّارَةَ لَهَا:

يَتَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْيَمِينَ الْغَمُوسَ لَهَا كَفَّارَةٌ الْمُنْعَقِدَةُ فَلَوْ أَنَّهُ أَطْعَمَ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ أَوْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَنَّ ذَلِكَ يَرْفَعُ عَنْهُ إِثْمَ هَذِهِ الْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ وَهَذَا فَهْمٌ خَاطِئٌ وَاعْتِقَادٌ بَاطِلٌ بَلِ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ لَا كَفَّارَةَ لَهَا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ

١ - رواه البزار - حديث: ٩٢٢، بسند حسن

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢٠٢٤٤، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني، حديث: ١٠٩٤، وفيه رجل لم يسم

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٥٧٥٢، وَالتِّرْمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة النساء حديث: ٣٠٢٩، والحاكم في

المستدرک - كتاب الإيمان والنذور، حديث: ٧٨٧٦، بسند صحيح

طَبِيباً بِهَا نَفْسُهُ مُحْتَسِباً وَسَمِعَ وَأَطَاعَ فَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَخَمْسٌ لَيْسَ هُنَّ كَفَّارَةُ الشِّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ تَهْبُتُ مُؤْمِنٍ أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَفْتَطِعُ بِهَا مَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ»^١.

الْيَمِينُ الْغُمُوسُ إِحْدَى الْكَبَائِرِ:

وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَنَهَا بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قَرَنَهَا بِالْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ: «الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ». قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ: «الْيَمِينُ الْغُمُوسُ». قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغُمُوسُ قَالَ: «الَّذِي يَفْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ»^٣.

الْيَمِينُ الْغُمُوسُ سَبَبُ إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ سَبَبُ إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا عَلَامَةٌ عَلَى سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى نَعُودَ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ فَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي. فَقَالَ الْكِنْدِيُّ هِيَ أَرْضِي فِي يَدَيَّ أَرْزُعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَاكَ بَيِّنَةٌ». قَالَ لَا. قَالَ: «فَلَاكَ يَمِينَةٌ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ» فَانْطَلَقَ لِيُخْلِفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَذْبَرَ: «أَمَا لَيْتَ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا لِيَلْقَيْنَ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ»^٤.

١ - رواه أحمد - حديث: ٨٥٥٦، بسند حسن لغيره

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله، حديث: ٦٥٣٨

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الأيمان والنذور باب اليمين الغموس، حديث: ٦٣٠٩

٤ - مسلم - كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم يمين فاجرة بالنار، حديث: ٢٢٥

قال النووي رحمه الله: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطَعَ» فَالتَّقْيِيدُ بِكَوْنِهِ فَاجِرًا لَا بُدَّ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ هُوَ آثِمٌ وَلَا يَكُونُ آثِمًا إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَعَمِّدًا عَالِمًا بِأَنَّهُ غَيْرُ مُحِقٍّ^١.

الْيَمِينُ الْغُمُوسُ سَبَبُ حَرَمَانِ الْجَنَّةِ:

وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ سَبَبُ الْحَرَمَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكٍ»^٢.

الْيَمِينُ الْغُمُوسُ سَبَبُ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ:

الْيَمِينُ الْغُمُوسُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنُ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسُلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا»^٣.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الْآيَةَ»^٤.

١ - شرح النووي على مسلم (١٦٢ / ٢)

٢ - رَوَاهُ أَحْمَدُ - حديث: ٢٣٤٥٠، وَابْنُ مَاجَهَ - كتاب الأحكام، باب من حلف على يمين فاجرة ليقطع بها مالا، حديث:

٢٣٢١، بسند صحيح

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر، حديث: ٢٥٤٨، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم

إسبال الإزار، حديث: ١٨٢

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا، حديث: ٤٢٨٤ ومسلم -

كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، حديث: ٢٢٢

قال الشوكاني رحمه الله: هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ سَبَبٌ لَانْتِقَامِهِ وَانْتِقَامُهُ بِالنَّارِ، فَالْغَضَبُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَلْزِمُ دُخُولَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ النَّارِ.^١

وقال الشعبي في قول الله تعالى: ﴿وَكَاُنُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾، هو اليمين الغموس.

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(السَّبُّ وَاللَّعْنُ)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ تَعَالَى السَّبُّ وَاللَّعْنُ، وَمِنْ خَطَرِ هَذِهِ الْآفَةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَنَّهَا تَوْجِبُ لَهُ الْفُسْقَ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الشَّهَادَةِ وَالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا اللَّعْنُ لِمُؤْمِنٍ كَانَ إِثْمُهُ كَقَتْلِهِ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ لِأَسِيْمَا إِذَا تَعَلَّقَ بِالْوَالِدَيْنِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ، وَهَذِهِ دَلَائِلُ خَطَرِ السَّبِّ وَاللَّعْنِ عَلَى مَنْ يَتَصَفَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْقَبِيحَةِ.

لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

مِنْ خَطَرِ اللَّعْنِ أَنَّ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ فَكَانَ لَعَّانًا، لَا يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُسْتَشْهَدُ.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ. فَقَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^١

سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ:

مِنْ خَطَرِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ كَذَلِكَ، أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفُسُوقِ، وَالْفُسُوقُ هُوَ الْخُرُوجُ مِنَ الدِّينِ، يُقَالُ فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ إِذَا خَرَجَتْ عَنْ قَشْرَتِهَا، وَسَبَابُ الْمُسْلِمِ خُرُوجٌ مِنَ الدِّينِ لِأَنَّ الدِّينَ أَمْرٌ بِمِرَاعَاةِ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ فِي دَمِهِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ».^٢

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».^٣

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث: ٤٨٠٨

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث: ٤٧٥٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، حديث: ٥٧٠٤، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: "سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ"، حديث: ١٢٢

لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ:

ومن خطر اللعن كذلك أن النبي ﷺ ساوي بين لَعْنِ الْمُؤْمِنِ وَقَتْلِهِ، والنبي ﷺ لا يعرف المبالغة إذا قال شيئاً فإنه يعني هذا الذي قاله تماماً، وإذا علمت أن أعظم عقاب ورد في كتاب الله تعالى هو عقاب قاتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^١.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ وَمَنْ حَلَفَ بِمَلَّةٍ سِوَى الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ»^٢.

فإذا لَعَنَ العبدُ مؤمناً فكأنه قتله تماماً كما قال النبي ﷺ وذلك معناه أن إثم اللعن كإثم القتل تماماً، وهذا هو الأظهر وهو الذي يفهم بداهة من الحديث، وقيل: إنه محرّمٌ كما أن القتل محرم وأقول لو كان المقصود بيان حرمة اللعن فليس لتخصيص القتل بالذكر وجه؛ فإن سلب مال المؤمن محرم والطعن في عرضه محرم، وغش المسلم محرم، وهكذا غيرها من المحرمات فلماذا ذكر النبي ﷺ القتل من بين هذه المحرمات؟ فلم يبق إلا أن يقال: إن لعن المؤمن له نفس درجة القتل من الخطر والإثم، وأما قول بعض العلماء إن اللعن ليس مثل القتل في الإثم، نقول أخبر النبي ﷺ أنه مثله في قوله: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ». وأما القول الثالث فهو أبعد من هذا وهو قولهم: (من لعن مؤمناً فقد أفقدهم منفعه) وهذا مردود بأن اللعن محرم سواء ترتب على هذا اللعن أثر أم لا.

قال ابن بطال: فيه تأويلان. قال المهلب: اللعن في اللغة هو الإبعاد، فمن لعن مؤمناً فكأنه أخرجه من جماعة الإسلام، فأفقدتهم منفعه وتكثير عددهم، فكان كمن أفقدهم منفعه بقتله، ويفسر هذا قوله للذي لعن ناقته: (انزل عنها فقد أجيبت دعوتك) فسرحتها ولم ينتفع بها أحد بعد ذلك، فأفقد منافعها لما أجيبت دعوته، فكذلك يخشى أن تجاب دعوة اللاعن فيهلك الملعون.

١ - سورة النساء: الآية ٩٣/

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٦٠٩٠، والطبراني في الكبير - حديث: ١٣١٧

والتأويل الآخر: أن الله حرم لعن المؤمن كما حرم قتله فهما سواء في التحريم، وهذا يقتضي تحذير لعن المؤمنين والزجر عنه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فأكد حرمة الإسلام، وشبهها بإخوة النسب، وكذلك معنى قوله: «وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ» يعني في تحريم ذلك عليه والله أعلم.^١

وقال النووي: وقيل معنى: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»، في الإثم وهذا أظهر.^٢

مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ».^٣

وَعَنْ أَبِي تَمِيمَةَ - وَاسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ - عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: "لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ" قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةٍ فَدَعَوْتُهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ فَقَرَاءٌ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتَ رَاحِلَتَكَ فَدَعَوْتُهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسْبَنَّ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِرَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ،

١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦ / ١٠٤)

٢ - شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٤٩)

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه - حديث: ٥٦٣٦، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث: ١٥٥

وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ أَمَرْتُ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَّالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»^١.

وَعَنْ جُرْمُوزِ الْمُهْجَمِيِّ رحمته الله قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي قَالَ: «أَوْصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَانًا»^٢.

الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَادِبَانِ:

الْمُسْتَبَّانِ يَحْرَصُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى إِلْصَاقِ النِّقِصَةِ بِالْآخَرِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ، فَيَفْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَعْلَ الشَّيْطَانِ مِنْ زَرْعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ فِي قَلْبِ الْآخَرِ؛ لِأَنَّهُمَا يَتَقَاوَلَانِ وَيَتَقَابَحَانِ فِي الْقَوْلِ؛ فَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رحمته الله قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَسُبُّنِي؟ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَادِبَانِ»^٣.

وَمَعْنَى يَتَهَاتَرَانِ أَيِ يَتَكَلَّمَانِ بِالْكَلامِ الْبَاطِلِ السَّقَطِ مِنَ الْهَيْئِ، بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الْبَاطِلُ وَالسَّقَطُ مِنَ الْكَلَامِ.

الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا:

مِنْ خَطَرِ السَّبِّ عَلَى صَاحِبِهِ، أَنْ أَثَمَهُ وَأَثَمَ مِنْ بَادِلِهِ السَّبَابِ، عَلَى مَنْ ابْتَدَأَ السَّبَّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته الله أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»^٤.

قَالَ النَّوَوِي: مَعْنَاهُ أَنَّ إِثْمَ السَّبِّ الْوَاقِعِ مِنْ اثْنَيْنِ مُحْتَصٍّ بِالْبَادِي مِنْهُمَا كُلِّهِ إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ الثَّانِي قَدْرَ الْإِنْتِصَارِ، فَيَقُولُ لِلْبَادِي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ لَهُ^٥.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٦٦١٦، وأبو داود - كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث: ٤٠٨٤، والنسائي - كتاب الزينة، حديث: ٩٣٧١، والبيهقي - كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصبية، حديث: ١٩٦٢٢، بسند صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢٠١٧٧، والطبراني في الكبير - حديث: ٢١٣٩

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٧١٧٢، البخاري في الأدب المفرد - باب المستبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَادِبَانِ، حديث: ٤٤٠، بسند صحيح

٤ - رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السباب، حديث: ٤٧٩٤

٥ - شرح النووي على مسلم (٨ / ٣٩٨)

اللَّعْنُ لَا يَذْهَبُ سُدًى:

من خطر اللعن أنه لا يذهب سدى، بل لابد أن يصيب مقتلاً، فإذا كان الذي لعن أهلاً لهذه اللعنة أصابته، وإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»^١.

حُكْمُ سَبِّ الدَّهْرِ:

من خطر السب على صاحبه أن العبد قد يسب شيئاً، هذا السب في حقيقته سب لمسببه وموجده مثل سب الدهر وسب الريح، فإن سب الدهر سب لما في الدهر من أحداث، خالق هذه الأحداث وموجدها هو الله تعالى؛ لذا أخبر الله تعالى أن في سب الدهر أذى لله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، يَبِيدِي الْأُمُرَ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^٢.

حُكْمُ سَبِّ الرِّيحِ:

وكذلك سب الريح فيه أذى له تعالى لأنها تجري بأمر الله تعالى، وتأتي بالرحمة والخير، وتأتي أيضاً بالعذاب وكلاهما من الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْفُنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْتُشْوُرُ﴾^٣.

١ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في اللعن، حديث: ٤٢٨٠، والبيهقي في الشعب - فصل، حديث: ٤٩٢٨، بسند حسن

٢ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب وما يهلكنا إلا الدهر الآية، حديث: ٤٥٥٢، مسلم - كتاب الألفاظ من

الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حديث: ٤٢٦٢

٣ - سورة فاطر: الآية/ ٩

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^١.
وعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ»^٢.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا تَجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَتَعَوَّذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا»^٣.

حُكْمُ لَعْنِ الْحَيَوَانِ:

من الأخطاء الشائعة التي يمكن أن يقع فيها المسلم ولا يشعر أنه فعل ما يعاتب عليه، أو يؤخذ من جرائه، لعن حيوان، أو بهيمة، أو حتى سيارة إذا رأى ما يكرهه من ذلك، وخطر لعن هذه الأشياء وإن كانت بهذه المثابة يكون لعدة أمور:

الأول: أن في ذلك تعويذاً للسان على الفاحشة.

جلس السبكي بجانب أبيه فمر عليهما كلب فقال له: مر كلب ابن كلب. فقال له أبوه مه! فقال يا أبت أليس كلب ابن كلب؟ فقال له أبوه: ولكن رويانا أن عيسى عليه السلام مر عليه خنزير فقال مر بسلام ف قيل له: أتقول هذا لخنزير؟ فقال: أكره أن أعود لساني الفاحشة.

الثاني: أن اللعن وإن كان لجماد أو حيوان ليس من حال المؤمن، فلا يكون المؤمن لعاناً ولا سباباً، إنما هذا شأن من لا دين عنده، ولا خلق له.

١ - سورة الفرقان: الآية / ٤٨

٢ - رواه الترمذي - كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الريح، حديث: ٢٢٣٠، والنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة، حديث: ١٠٣٥٦، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث: ٧٢٤٩، والنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا هاجت الريح، حديث: ١٠٣٥٤، بسند صحيح

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»^١.

الثالث: أن اللعن يلزم هذا الذي رمي باللعن، فقد يستجيب الله تعالى فلا تنفك عنه اللعنة فإذا ظل مصاحباً له كان أقرب ما يكون إلى اللعنة التي تسبب بها.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخُمْسَةُ وَالسَّبْعَةُ فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضُ التَّلَدُّنِ فَقَالَ لَهُ شَأْنُ لَعْنِكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ». قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَفِّقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^٢.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُّوها فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ». قَالَ عِمْرَانُ فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْزِضُ لَهَا أَحَدٌ^٣.

وَزَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه صَدِيقًا لَهُ فِي أَهْلِهِ يَقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ فَلَمْ يَجِدْهُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى أَهْلِهِ وَسَلَّمْ فَاسْتَسْقَى قَالَ فَبَعَثَتْ الْجَارِيَةُ تَحِيَّئَهُ بِشَرَابٍ مِنَ الْجِيرَانِ فَأَبْطَأَتْ فَلَعَنَتْهَا فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَجَاءَ أَبُو عُمَيْرٍ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَيْسَ مِثْلُكَ يُعَارُ عَلَيْهِ هَلَّا سَلَّمْتُ عَلَى أَهْلِ أَخِيكَ وَجَلَسْتُ وَأَصَبْتُ مِنَ الشَّرَابِ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ فَأَرْسَلْتُ الْخَادِمَ فَأَبْطَأَتْ إِمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَإِمَّا رَغِبُوا فِيمَا عِنْدَهُمْ فَأَبْطَأَتْ

١ - رواه أحمد - حديث: ٣٧٢٥، والترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في اللعنة، حديث: ١٩٤٨، وابن

حبان - كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، حديث: ١٩٢، والبيهقي في الشعب - حديث: ٤٩١٥، والطبراني في الكبير - حديث:

١٠٢٨٩، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث: ٥٤٤٢

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث: ٤٨٠٥

الْحَادِمُ فَلَعَنَتْهَا وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّعْنَةَ إِلَى مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ أَصَابَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا أَوْ وَجَدَتْ فِيهِ مَسْلَكًا وَإِلَّا قَالَتْ يَا رَبِّ وُجِّهْتُ إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا فَيُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَحَشِيشُ أَنْ تَكُونَ الْحَادِمُ مَعْدُورَةً فَتَرْجِعَ اللَّعْنَةُ فَأَكُونَ سَبَبَهَا.^١

حُكْمُ لَعْنِ الْمُعِينِ:

ربما يستشكل بعض الناس النهي عن اللعن من النصوص الواردة التي نقلناها مع نصوص أخرى فيها اللعن أو الأمر باللعن مثل قول النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ».^٢

وغير ذلك من النصوص ونقول للجمع بين هذه النصوص لعن المعين ولو كان كافرا لا يجوز إلا من لعنه الشارع بعينه مثل إبليس ومثل أبي لهب، أما لعن من اتصف بوصف فيلعن من اتصف بذلك فلا حرج في ذلك كأن يقول لعنة الله على الظالمين، أو لعن الله اليهود؛ لأن اللعن قد ورد في حقهم.

قال النووي: اتفق العلماء على تحريم اللعن فانه في اللغة الإبعاد والطرْد وفي الشرع الإبعاد من رحمة الله تعالى فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن أحد بعينه مسلماً كان أو كافراً أو دابةً إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس، وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله، والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين، ولعن من غير منار الأرض، ومن تولى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثاً أو آوى محدثاً، وغير ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان والله اعلم.^٣

١ - رواه أحمد - حديث: ٣٧٦١، بسند حسن

٢ - رواه مسلم - عن علي رضي الله عنه، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، حديث: ٣٧٥٢

٣ - شرح النووي على مسلم (٦٧ / ٢)

لَا تَسُبَّنْ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ ظَالِمًا:

سَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلًا يَسُبُّ الْحَجَّاجَ، فَقَالَ: "مَهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّكَ لَوْ وَافَيْتَ الْآخِرَةَ كَانَ أَصْغَرَ ذَنْبٍ عَمِلْتَهُ قَطُّ أَعْظَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْحَجَّاجُ، وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكَمَ عَدْلًا، إِنْ أَخَذَ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ شَيْئًا، أَخَذَ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ فَلَا تَشْغَلَنَّ نَفْسَكَ بِسَبِّ أَحَدٍ".^١
قَالَ زُهَيْرٌ:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ***** يَفْرُهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمَ

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ:

وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى الزَّادِ وَالْقِرَى ***** وَعَنْ شَتْمِ ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الْمَدْحُ بِالْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ يَغْرَسُ فِي قَلْبِ الْمَمْدُوحِ الْعَجَبَ وَالْكَبْرَ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْخِيَلَاءِ وَالْفَخْرِ، وَهُوَ مَطْيَةُ الْكَذِبِ، وَذَرِيعَةُ إِلَى الْبَاطِلِ وَرَبَّمَا أَفْضَى بِصَاحِبِهِ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ تَعَالَى كَمَا سَنَبِّينُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

تعريف المدح: الْمَدْحُ نَقِيضُ الْهَجَاءِ وَهُوَ حُسْنُ الثَّنَاءِ يُقَالُ مَدَحْتُهِ مَدْحَةً وَاحِدَةً وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا وَمَدْحَةً هَذَا قَوْلٌ بَعْضُهُمْ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَدْحَ الْمَصْدَرُ، وَالْمَدْحَةُ الْاسْمُ، وَالْجَمْعُ مَدَحٌ، وَهُوَ الْمَدِيحُ، وَالْجَمْعُ الْمَدَائِحُ وَالْأَمَادِيحُ الْأَخِيرَةُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَنَظِيرُهُ حَدِيثٌ وَأَحَادِيثُ.

قال أبو ذؤيب:

لو كان مِدْحَةُ حَيٍّ مُنْشَرًّا أَحَدًا ***** أَحْيَا أَبَاكُنَّ يَا لَيْلَى الْأَمَادِيحُ^١

الفرق بين الحمد والمدح:

الفرق بين الحمد والمدح: أَنَّ الْحَمْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى إِحْسَانٍ، وَاللَّهُ حَامِدٌ لِنَفْسِهِ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ، فَالْحَمْدُ مَظْمُونٌ بِالْفِعْلِ، وَالْمَدْحُ يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَالصِّفَةِ، وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَمْدَحَ الرَّجُلُ بِإِحْسَانِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَى غَيْرِهِ، وَأَنْ يَمْدَحَهُ بِحَسَنِ وَجْهِهِ وَطَوَّلِ قَامَتِهِ، وَيَمْدَحَهُ بِصِفَاتِ التَّعْظِيمِ مِنْ نَحْوِ قَادِرٍ وَعَالِمٍ وَحَكِيمٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَحْمَدُهُ عَلَى إِحْسَانٍ يَقَعُ مِنْهُ فَقَطْ.^٢

١ - لسان العرب (٢ / ٥٨٩)

٢ - الفروق اللغوية (١ / ٢٠٣)

الفرق بين الإطراء والمدح:

الفرق بين الإطراء والمدح: أن الإطراء هو المدح في الوجه ومنه قولهم الإطراء يورث الغفلة يريدون المدح في الوجه، والمخ يكون مواجعة وغير مواجعة.^١

حكم المدح في الشرع:

والمدح في أصله جائز شرعا ما لم يشتمل على الكذب أو الإطراء وأُمنَ على الممدوح منه العُجبُ.
فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الْآيَةُ.^٢
فقد مدح رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَّاسٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ.
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ نِعَمَ الرَّجُلُ عُمَرُ نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ نِعَمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَّاسٍ نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ».^٣
وَمَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُرَيْمًا الْأَسَدِيَّ كَذَلِكَ.
فَعَنْ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ حُرَيْمُ الْأَسَدِيُّ لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ». فَبَلَغَ ذَلِكَ حُرَيْمًا فَجَعَلَ يَأْخُذُ شَفْرَةً فَيَقْطَعُ بِهَا شَعْرَهُ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ».^٤

وَمَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه.

١ - الفروق اللغوية (١ / ٥٦)

٢ - رواه البخاري- كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه، حديث: ٣٦٢٤

٣ - رواه الترمذي- أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل حديث: ٣٨١٠، وابن حبان- كتاب إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة، ذكر أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه- حديث: ٧١٠٧ بسند صحيح

٤ - رواه أحمد- حديث: ١٧٣١٠، وأبو داود- كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث: ٣٥٨٤ بسند صحيح لغيره

فَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ وَكُنْتُ عَلَامًا شَابًّا عَزَبًا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبُئْرِ وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي لَمْ تُرْعَ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَأَلْتُ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.^١

وَأَقَرَّ أَصْحَابُهُ عَلَى مَدْحِ جَنَازَةٍ مَرَّ بِهَا أَمَامَهُ ﷺ.

فَعَنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ». وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ». قَالَ عُمَرُ فَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ. وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتُ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتْنِيُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَتْنِيُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ».^٢

وَعَنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَظَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قَالُوا بِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ».^٣

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ».^٤

١ - رواه البخاري- كتاب الجمعة، أبواب تقصير الصلاة، باب فضل قيام الليل، حديث: ١٠٨٣، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث: ٤٦٣٣

٢ - رواه البخاري- كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، حديث: ١٣١٢، ومسلم- كتاب الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حديث: ١٦٢٩، واللفظ له

٣ - رواه أحمد- حديث: ١٥١٦٧، ابن ماجه- كتاب الزهد باب الثناء الحسن، حديث: ٤٢١٩، بسند حسن

٤ - رواه مسلم- كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، حديث: ١٨٠٧

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ نِعَمَ الرَّجُلُ بَقِيَّةً لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يَكْنَى الْأَسَامِي وَيُسَمَّى الْكُنَى كَانَ دَهْرًا يُحَدِّثُنَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْوُحَاظِيِّ فَتَنْظَرْنَا فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ^١.

قلنا: إن المدح جائز في الشرع إلا في حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون إطرأً فيحرم لما يشتمل عليه من الكذب والمغالاة والمبالغة.

في المدح، ولما فيه من تشبه باليهود والنصارى، ولأنه من تزيين الشيطان.

الحالة الثانية: عدم الأمن على الممدوح من العجب والخيلاء.

تعريف الإطرأ:

الإطرأ هو مجاوزة الحد في المدح.

حكم الإطرأ:

الإطرأ محرم على الإطلاق ولا يجوز حتى مع النبي ﷺ: فعن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^٢.

مثال الإطرأ في حق النبي ﷺ:

قول البوصيري يمدح النبي ﷺ:

يا أكرمَ الخلقِ مَا لي مَن أَلُوذُ بِهِ ***** سَوَاكَ عِنْدَ خُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

فَإِنَّ مَن جَوَدَكَ الدُّنْيَا وَضُرَّتْهَا ***** وَمِنَ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

١ - رواه مسلم - باب الكشف عن معانيب رواة الحديث ونقله الأخبار وقول الأئمة في ذلك.

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، حديث: ٣٢٧٧

خطر مُجَاوِزَةِ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ:

الْمَدْحُ بِالْبَاطِلِ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ:

عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي أَنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^١.

وقوله ﷺ: «وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»، أي لا يتخذنكم جَرِيًّا بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية أي كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته.

وقيل هو من الجراءة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز.

وفي النهاية أي لا يغلبنكم فيتخذكم جرياً، أي رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأكنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه^٢.

الْإِطْرَاءُ فِيهِ تَشَبُّهُ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^٣.

وقد وقع فئام من هذه الأمة في ذلك فمنهم من قال عن النبي ﷺ أنه أول خلق الله ومنهم من قال أنه ﷺ خلق من نور الله وقد حضرت في بداية الطلب درساً فسمعت الذي يحاضر يقول: سئل جابر بن عبد الله النبي ﷺ فقال يارسول الله ما أول شيء خلقه الله فقال: نور نبيك يا جابر، فقلت له إن علماء

١ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في كراهية التماذج، حديث: ٤١٩٣، والبخاري في الأدب المفرد - باب هل يقول: سيدي؟

حديث: ٢١٤

٢ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٤ / ١٨١)

٣ - سورة التوبة: الآية / ٣٠

الحديث قالوا عن هذا الحديث إنه حديث موضوع مكذوب على النَّبِيِّ ﷺ ليس له أصل فقال لي باللفظ: أنت جرثومة فساد، كل الجالسين هنا يعتقدون ذلك. فقامت من المجلس وأنا أتأسف على سخافة عقله، وشدة جرأته، وتمكن البدعة من قلبه، ومنهم من يقول خلق الله الكون من نور محمد، إلى غير ذلك من المبالغات الشنيعة في حقه ﷺ، وقد قدمنا ما قاله البوصيري في البردة، وهو يزعم أنه يمدح النبي محمد ﷺ:

فإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرُّهَا ***** وَمِنْ عِلْمِكَ اللُّوحَ وَالْقَلَمَ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^١.

الإطراء فيه هلاك للمادح والممدوح:

أما إهلاكه للمادح فيكون بعدة صور أظهرها أنه قد يعتقد أنه يرفع بمدحه ويخفض بدمه.

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، أَنَّهُ نَادَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ دَمِي شَيْنٌ، فَقَالَ: «ذَاكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^٢.

أما إهلاكه للممدوح فيكون بسبب تولد الكبر والعجب والخيلاء وإحسان الظن بالنفس وترك العمل. فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مَدَحَ صَاحِبًا لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُقْبَهُ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَقُلْ أَحْسَبُهُ كَذَا وَكَذَا وَاللَّهِ حَسِبِيهِ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحَدًا»^٣.

١ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، حديث: ٣٢٧٧، وتقدم

٢ - رواه أحمد- حديث: ١٥٧٠٨، والترمذي- أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الحجرات حديث:

٣٢٧١، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلا كفاه، حديث: ٢٥٤٠، ورواه مسلم- كتاب الزهد والرقائق، باب

النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٠

وعن الحسن أن رجلاً أثنى على رجلٍ عند النَّبِيِّ ﷺ خيراً فقال له النبي ﷺ: «قطعت عنقه لو سمعتك تقول هذا ما أفلح»^١.

وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفيير: مدحك أخاك في وجهه كإمرارك على حلقه موسى رهيصاً أي شديداً.^٢

مَا هُوَ وَاجِبُنَا نَحْوَ الْمَدَّاحِينَ:

١ - أن نحثوا التراب في وجوههم:

قال وهب بن منبه: إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك؛ فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك.

عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ - وَكَانَ رَجُلًا ضَحْمًا - فَجَعَلَ يَخْتُو فِي وَجْهِهِ الْحُصْبَاءَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»^٣.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ بَعَثَ وَفْدًا مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى عُثْمَانَ فَجَاءُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَخْتُو فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَقَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْتُو فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»^٤.
قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: هَذَا وَهُوَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَاسْتَعْمَلَهُ الْمِقْدَادُ رَاوِي الْحَدِيثِ.

وَالثَّانِي: الْحَبِيبَةُ وَالْحَرِثَانِ كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ رَجَعَ خَائِبًا رَجَعَ وَكَفَّهُ مَمْلُوءَةٌ تُرَابًا.

١ - رواه معمر بن راشد في الجامع - باب المدح، حديث: ١١٢٩

٢ - رواه أبو نعيم في الحلية (٩٩ / ٦)

٣ - رواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٤

٤ - رواه أحمد - حديث: ٢٣٢١٥، والترمذي - أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية المدحة والمداحين، حديث: ٢٣٧٤، والطبراني

في الكبير - حديث: ١٧٣٦٤

وَالثَّالِثُ: قُولُوا لَهُ بِفَيْكِ التُّرَابِ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ لِمَنْ تَكْرَهُ قَوْلَهُ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ ذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَمْدُوحِ كَأَنْ يَأْخُذَ تُرَابًا فَيَبْذُرُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَذَكَّرُ بِذَلِكَ مَصِيرَهُ إِلَيْهِ فَلَا يَطْغَى بِالْمَدْحِ الَّذِي سَمِعَهُ.

وَالْخَامِسُ: الْمُرَادُ بِحُثُوِ التُّرَابِ فِي وَجْهِ الْمَادِحِ، إِعْطَاؤُهُ مَا طُلِبَ؛ لِأَنَّ كُلَّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ، وَهَذَا جَزَمَ الْبَيْضَاوِيُّ وَقَالَ: شَبَّهَ الْإِعْطَاءَ بِالْحُثِيِّ عَلَى سَبِيلِ التَّرْشِيحِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْلِيلِ وَالِاسْتِهْانَةِ، قَالَ الطَّبَّيُّ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ رَفْعُهُ عَنْهُ وَقَطْعُ لِسَانِهِ عَنْ عِزِّهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الرِّضْخِ، وَالِدَّفَاعِ قَدْ يَدْفَعُ حَصْمَهُ بِحُثْيِ التُّرَابِ عَلَى وَجْهِهِ اسْتِهْانَةً بِهِ.^١

قال المناوي رحمه الله: فالحثو كناية عن الردّ والحرمان أو أعطوهم ما طلبوا فإن كل ما فوق التراب تراب، ومن حملة على ظاهره ورماهم بالتراب فما أصاب.^٢

قلت حملة على ظاهره أولى من تأويل ذلك بالإعطاء، بل إعطاؤهم بعد المدح تشجيع لهم، ثم ما هو الفرق بين مكافأهم على المدح ومنعهم من المدح على هذا القول، أيضا لا يدل الحثو للتراب في وجوههم على مجرد المنع لبينه النبي ﷺ فلم يبق إلا حملة على الظاهر لاسيما وهو فهم أصحاب النبي ﷺ وهم أدرى بالحديث ممن بعدهم كما فعله المقداد ﷺ، وأيضا لأنه ليس مأمونا فكما قال لك قد يقول عليك.

٢ - عدم الاغترار بكلام المداحين.

يجب على من مدح في وجهه أن يتواضع ولا يغتر، وأن يذكر ما عنده من عيوب سترها الله تعالى عن الناس، قَالَ إِبْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَضُرَّهُ الْمَدْحُ.

عن نافع أو غيره أن رجلا قال لابن عمر يا خير الناس وابن خير الناس قال لست بخير الناس ولكني من عباد الله أرجو الله وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.^٣

١ - فتح الباري لابن حجر (١٧ / ٢٢٥)

٢ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١ / ٨٤)

٣ - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى - باب ما يكره لأهل العلم وغيرهم من التكبر والتجبر وإلزام الناس، حديث: ٤٢٦، ورواه معمر بن راشد في جامعه - باب المدح، حديث: ١١٣١

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا مُدِّحَ الرَّجُلَ فِي وَجْهِهِ فَلْيَقُلْ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ).^١

الآفات المترتبة على المدح:

قال الغزالي رحمه الله: والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح.

فأما المادح:

فالأولى: أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه.

والثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز، وقال الحسن: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله تعالى في أرضه، والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين:

أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان.

قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله، إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل: هذا سيد ربيعة. فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فقال: مالي ولك يا أمير المؤمنين. قال: مالي ولك أما سمعتها، قال: سمعتها فمه؟ قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطئ منك.

١ - رواه البيهقي في الشعب - باب في حفظ اللسان، حديث: ٤٦٦٦

الثاني: هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتّر ورضي عن نفسه، ومن أعجب بنفسه قل تشمره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه، ظن أنه قد أدرك، ولهذا قال عليه السلام: قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح.^١

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في قواعده: ولا تكاد تجد مداحاً إلا رذلاً ولا هجاءً إلا نذلاً. بل ربما تجاوز الحد حتى وقع في الكفر كقول ابن هاني الأندلسي شاعر المعز العبيدي مخاطباً له:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ***** فاحكم فأنت الواحد القهار^٢

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيه فِي الْمِدْحَةِ فَقَالَ: «لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ».^٣

قال المهلب رحمه الله: وإنما قال هذا، والله أعلم، لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الازدياد من الخير ويجد الشيطان إليه سبيلاً، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله، وكان السلف يقولون: إذا أثنى على أحدهم: اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون واجعلنا خيراً مما يظنون. وقال يحيى بن معاذ: العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه بأن يفرح بما أظهره من محاسنه.^٤ عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ فَأَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: (عَقَرَتِ الرَّجُلَ عَقْرُكَ اللَّهُ).^٥

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: (المدح ذبح) قال: محمد يَعْنِي إِذَا قَبِلَهَا.^٦

١ - إحياء علوم الدين (٣ / ١٩٥ : ١٦٠)، بتصرف

٢ - فيض القدير (١ / ١٨٣)

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الأدب، باب ما يكره من التماذج - حديث: ٥٧٢٠، ومُسَلِّمٌ - كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٢

٤ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨ / ٤٨)

٥ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب ما جاء في التماذج، حديث: ٣٤٥، بسند حسن

٦ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب ما جاء في التماذج، حديث: ٣٤٦، بسند صحيح

قال الغزالي رحمه الله: اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني.

وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إليَّ بمقتك وأنا أشهدك على مقتك.

وقال علي رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلي خيرا مما يظنون.

وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتهلكني وتهلك نفسك.

وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.^١

قال الغزالي: اعلم أن حب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:

السبب الأول: وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإن الكمال محبوب وكل محبوب فإدراكه لذيد فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واعتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها.

السبب الثاني: أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح، وأنه مرید له ومعتقد فيه، ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيد وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته ويتنفع باقتناص قلبه كالمملوك والأكابر.

السبب الثالث: أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملاء فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى وله كان المدح ألد والذم أشد على النفس.

١ - إحياء علوم الدين (٣/ ١٦١)

السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لذيدة لما فيها من القهر والقدرة. فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفرق فتنقص اللذة بها.^١

ما هو الواجب عليك إذا احتجت أن تمدح إنساناً؟

قد يسأل أحدنا عن إنسان لا يعلم عنه إلا الخير والصلاح فيماذا يجب؟ علمنا النبي ﷺ القصد في ذلك مع قول الحق، وأن يقول من سئل عن ذلك أَحْسِبُ فَلَانًا صَالِحًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مُحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ».^٢

١ - إحياء علوم الدين (٣ / ٢٨٦)

٢ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه، حديث: ٢٥٤٠، رواه مسلم- كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٠

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْجِدَالُ)

تَعْرِيفُ الْجِدَالِ:

الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله ومنه: الجدل، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. وقيل: الأصل في الجدل: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة.^١

قال القرطبي رحمه الله: الجدل وزنه فعال من المجادلة، وهي مشتقة من الجدَل وهو الفتل، ومنه زمام مجدول.

وقيل: هي مشتقة من الجدالة التي هي الأرض.^٢

فالجدل مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ. وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَازَرَةُ وَالْمَخَاصِمَةُ وَطَلَبُ الْغَلْبَةِ.

حُكْمُ الْجِدَالِ:

الجدال تنتظم فيه الأحكام التكليفية الخمسة، فمنه ما هو واجب يأثم العبد بتركه، ومنه ما هو مستح، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو حرام.

والمقصود من الكلام هنا الكلام عن الجدل الحرام والمكروه كما سنبينه إن شاء الله.

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ الْجِدَالُ: هُوَ الْخِصَامُ وَمِنْهُ قَبِيحٌ وَحُسْنٌ وَأَحْسَنُ، فَمَا كَانَ لِلْفَرَائِضِ فَهُوَ أَحْسَنُ، وَمَا كَانَ لِلْمُسْتَحَبَّاتِ فَهُوَ حَسَنٌ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ قَبِيحٌ.^٣

١ - مفردات ألفاظ القرآن (١/ ١٧٥)

٢ - تفسير القرطبي (٢/ ٤٠٩)

٣ - فتح الباري لابن حجر (٢٠/ ٤٠٦)

وقال المهلب: الجدل موضوعه في اللغة المدافعة، فمنه مكروه، ومنه حسن، فما كان منه تثبيتاً للحقائق وتثبيتاً للسنن والفرائض، فهو الحسن وما كان منه على معنى الاعتذار والمدافعات للحقائق فهو المذموم.^١

قَالَ الحَافِظ ابن حجر رحمه الله: في قول النبي ﷺ لعلي ﷺ وفاطمة رضي الله عنهما: "أَلَا تُصَلُّونَ" قَالَ: وَيُؤْخَذُ مِنْهُ الْإِشَارَةُ إِلَى مَرَاتِبِ الْجِدَالِ فَإِذَا كَانَ فِيْمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ تَعَيَّنَ نَصْرُ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، فَإِنْ جَاوَزَ الَّذِي يُنْكَرُ عَلَيْهِ الْمَأْمُورُ نُسِبَ إِلَى التَّقْصِيرِ، وَإِنْ كَانَ فِي مُبَاحٍ اكْتَفَى فِيهِ بِمُجَرَّدِ الْأَمْرِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى تَرْكِ الْأَوَّلَى.^٢

أنواعُ الجِدَالِ:

الجِدَالُ نَوْعَانِ:

الأول: جِدَالٌ مَمْدُوحٌ:

ومنه الجِدَالُ لِتَثْبِيتِ الْحَقِّ وَدَحْضِ الشُّبُهَاتِ:

من أنواع الجدال الجائز الجدال لتثبيت الحق ودحض الشبهات ومنه جدال النبي ﷺ لقومه لبيان سبيل الحق وكشف ما عندهم من الشبهات.

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.^٣

وهذا النوع من الجدال أحياناً يكون واجباً، وأحياناً يكون مستحباً، فيكون واجباً إذا أثرت الشبهات في وجه الإسلام، وقام بعض الناس بتزييف الحقائق لطمس معالم الإسلام، أو لتشويه صورته، فأقول: هنا تجب المجادلة لتبيين حقائق الإسلام، وكشف زيف خصومه، ومع ذلك فإن المجادلة والحال هكذا يجب أن

١ - شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠ / ٣٧٧)

٢ - فتح الباري لابن حجر (٢٠ / ٤٠٦)

٣ - سورة النحل: الآية / ١٢٥

تكون بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى، فليس فيها شيء من السب والشتم، بل ليس فيها إلا إظهار الحق وتبينه للناس.

وقد يكون الجدل مستحباً لدعوة غير المسلمين للإسلام، وذلك ببيان ما هم عليه من سوء الديانة وفساد المعتقد، وتحريف ما بين أيديهم من الكتاب إذا كانوا أهل كتاب، مع بيان دين الله تعالى وذلك أيضاً لا يكون إلا بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ﴾^١.

الثاني: الجِدَالُ الْمَذْمُومُ:

وينقسم إلى أقسام كثيرة فمنها ما هو كفر بالله تعالى، ومنها ما يوجب النار عياداً بالله تعالى، ومنها ما هو علامة على الضلال، ومنها ما يورث العداوة ويقطع المودة، ومنها ما يولد الكبر في قلب صاحبه.

أَقْسَامُ الْجِدَالِ الْمَذْمُومِ:

الجِدَالُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ:

أخطر أنواع الجدل على العباد وعلى الدين، الجدل في الله تعالى بغير علم، ورد ما أثبتته الله تعالى لنفسه من الصفات، سواء أكان ذلك بتأويل أو تشبيه أو تعطيل، وكذا وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، بتجسيم أو تكييف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾^٢.

ومن الجدل في الله تعالى نسبة الصاحبة والولد له سبحانه.

ومنه نسبة ما ليس من دين الله تعالى إليه، كتحریم الحلال وتحليل الحرام، ومنه تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة والحام.

١ - سورة العنكبوت: الآية ٤٦ /

٢ - سورة الحج: الآية ٣ /

الْجِدَالُ فِي الْقُرْآنِ:

ومن الجدال المذموم، الجدال في القرآن بالطعن في آيات الله تعالى بتتبع ما تشابه من آياته ابتغاء الفتنة، وضرب القرآن بعضه ببعض.

قال الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾^١.

قال القرطبي قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق، وإطفاء نور الله تعالى. وقد دل على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾. فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها، وحل مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها، ورد أهل الزيغ بها وعنهما، فأعظم جهاد في سبيل الله^٢.

وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِصٍ﴾^٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»^٤.

قال المناوي: أي الشك في كونه كلام الله كفر أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم أو المجادلة في الآي المتشابهة المؤدى إلى الجحود فسماه كفرًا باسم ما يخاف عاقبته^٥.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ

١ - سورة غافر: الآية/ ٤

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢ / ١٥)

٣ - سورة الشورى: الآية/ ٣٥

٤ - رواه أحمد - حديث: ٧٨٠٥، وأبو داود - كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن، حديث: ٤٠٠٨، بسند صحيح،

كتاب العلم، ذكر الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن للمرأة المسلم، حديث: ٧٤، بسند صحيح

٥ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٨٨١ / ٢)

إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَخَذُواهُمْ فَأَخَذَهُمْ»^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَّمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يَلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»^٢.

ومنه ما كان يفعله صَبِيعُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِي، الذي كان يتتبع ما تَشَابَهَ مِنَ الْقُرْآنِ كأنه يشكك فيه، فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيعُ بْنُ عِيسَى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ لَهُ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّحْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ: "مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا صَبِيعٌ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عُمَرُ عَبْدُ اللَّهِ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينَ حَتَّى شَجَّهَ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي"^٣.

الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ لِدَحْضِ الْحَقِّ:

ومن الجدال المذموم، الجدال بالباطل لدحض الحق، قال الله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^٤.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين كفروا يجادلون بالباطل، أي يخاصمون الرسل بالباطل، كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن وكقولهم: في القرآن:

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب منه آيات محكمات، حديث: ٤٢٨٢، ومسلم - كتاب العلم، باب النهي

عن إتياع متشابه القرآن، حديث: ٤٩٢٤

٢ - رواه ابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٠١٦٦

٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٦٠٩)، ورواه الدارمي - باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، حديث: ١٥٣، والبدع لابن

وضاح - قصة صبيغ العراقي، حديث: ١٤٨

٤ - سورة غافر: الآية ٥

أساطير الأولين، سحر، شعر، كهانة. وكسؤا لهم عن أصحاب الكهف، وذوي القرنين. وسؤا لهم عن الروح عناداً وتعنتاً، ليبتلوا الحق بمجدا لهم وخصامهم بالباطل.^١

الْجِدَالُ بِغَيْرِ عِلْمٍ:

ومن الجدال المذموم، الجدال بغير علم، قال الله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.^٢

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إنكارٌ على من يحاج فيما لا علم له به، فإنَّ اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.^٣

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.^٤

قال ابن كثير: أي: يُحَاجُّونَ فِي وُجُودِهَا وَيَدْفَعُونَ وَقُوعَهَا، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: فِي جَهْلٍ بَيِّنٍ؛ لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخِرَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧].^٥

١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٩ / ٢٢٦)

٢ - سورة آل عمران: الآية / ٦٦

٣ - تفسير ابن كثير (٥٨ / ٢)

٤ - سورة الشورى: الآية / ١٨

٥ - تفسير ابن كثير (١٩٧ / ٧)

الْجِدَالُ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ:

ومن الجدال المذموم، الجدال في الحق بعد ظهوره، دفعًا للحق وإعراضًا عنه، قال الله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾^١.

فَضْلُ تَرْكِ الْجِدَالِ:

ترك الجدال مغالبة للنفس، ومدافعة لشهوة الظهور، وبين الانتصار للنفس وحظوظها والانتصار للحق شعرة دقيقة جدًا، ومع ذلك ففيها مدخل عظيم من مداخل الشيطان، يثير من خلاله العداوات، ويقطع فيه المودات، وربما حمل كل واحد من المتجادلين على الانتصار لرأيه ولو كان باطلاً، ودفع رأي الخصم ولو كان محققاً فكان علاج ذلك بترك الجدال والمراء حتى لو كان المجادل يرى نفسه محققاً ومن فعل ذلك فقد ضمن له النبي ﷺ بيتاً في ربض الجنة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^٢.

تَرْكُ الْجِدَالِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرَكَ الْكَذِبَ فِي الْمُرَاحَةِ وَيَتْرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا»^٣.

١ - سورة الأنفال: الآية/ ٦

٢ - رواه أبو داود- كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، حديث: ٤١٨٨، والبيهقي في السنن- كتاب الشهادات، باب المزاح، حديث: ١٩٦٩٩، بسند حسن

٣ - رواه أحمد- حديث: ٨٤٤٦، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق- باب في الصدق وما جاء في فضله وذم الكذب، حديث: ١٣٤، بسند صحيح

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "سِتُّ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقْدٌ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ: قِتَالُ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ، وَالصَّبِيَامُ فِي الصَّيْفِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْيَوْمِ الشَّائِي، وَالتَّبَكُّيرُ بِالصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْعَيْمِ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ".^١

تَرْكُ الْجِدَالِ عَلَامَةٌ حُسْنِ الْخُلُقِ:

عَنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُشَارِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِي التِّجَارَةِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ جَاءَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي كَانَ لَا يُدَارِي وَلَا يُمَارِي يَأْسَائِبُ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُقْبَلُ مِنْكَ وَهِيَ الْيَوْمَ تُقْبَلُ مِنْكَ». وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَصَلَةٍ.^٢

١ - حلية الأولياء (٣/ ٦٨)

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٥٢٣٤، والحاكم في المستدرک - کتاب البيوع، حديث: ٢٢٩٨، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن - کتاب الشركة، باب الاشتراك في الأموال والهدايا، حديث: ١٠٦٨٤، وابن أبي شيبة - کتاب المغازي، حديث فتح مكة، حديث: ٣٦٢٦٦، والطبراني في الكبير - حديث: ٦٤٦٩

خَطَرُ الْجِدَالِ عَلَى صَاحِبِهِ:

الْجِدَالُ عِلَامَةٌ عَلَى الضَّلَالِ:

من أمارات الضلال، ومن علامات الزيغ، ترك الهدي المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والاشتغال بالجدال والذي كان يعرف فيما مضى بعلم الكلام، ومثله اليوم الفلسفة وغيرها من العلوم التي ليس فيها نفع ولا فائدة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجِدَالَ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^١.

قال القاضي: المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة، لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوماً عنده أو تعليم غيره ما عنده؛ لأنه فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث.^٢

وَالْمُرَادُ بِالْجِدَالِ الْخِصَامُ بِالْبَاطِلِ وَضَرْبُ الْحَقِّ بِهِ وَضَرْبُ الْحَقِّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ بِإِبْدَاءِ التَّعَارُضِ وَالتَّدَاوُعِ وَالتَّنَافِي بَيْنَهُمَا لَا الْمُنَازَعَةَ لِطَلَبِ الثَّوَابِ مَعَ تَقْوِيضٍ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الْعُجْزِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْكُنْهِ.^٣

الْجِدَالُ مَعْصِيَةٌ:

لما كان الجدال المذموم سبباً في الهجر وقطع حبال المودة وإفساد ذات البين وامتلاء القلوب بالضغائن والأحقاد، ودفع الحق وعدم قبوله نهي عنه النبي ﷺ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لَا تَزَالَ مُحَاصِمًا»^٤.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٥٢٣٤، والحاكم في المستدرک - کتاب البيوع، حديث: ٢٢٩٨، والبيهقي في السنن - کتاب الشركة،

باب الاشتراك في الأموال والهدايا، حديث: ١٠٦٨٤، بسند حسن

٢ - مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٤٣)

٣ - حاشية السندي على ابن ماجه (١/ ٤٠)

٤ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمِرَاءِ، حديث: ١٩٦٥، والطبراني في

الكبير - حديث رقم: ١١٠٣٢، بسند ضعيف

والنهي يقتضي التحريم وذلك لما يثيره الجدل من العداوات، ولما يوغر الصدور.

الْجِدَالُ يُورِثُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ:

من أكثر مداخل الشيطان التي يجد للناس منها مدخلا إليهم الجدل، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين، يريد أن يثبت حجته، ويدحض حجة خصمه، ويظهر ضعفه، وربما حقر رأيه وسفه حلمه، وكيرا من يصحب ذلك دفع الحق وعدم قبوله، فيكون قد وقع في الكبر باحتقار من أمامه وبطر الحق، فيكون الجدل سبباً للقطيعة بينهما مع يجده كل واحد منهما من الضغينة والحقد بسبب الجدل.

وَقَالَ مَالِكٌ: الْجِدَالُ فِي الدِّينِ يُنْشِئُ الْمِرَاءَ، وَيُذْهِبُ بِنُورِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَلْبِ وَيُفْسِدُ، وَيُورِثُ الضِّغْنَ.^١

قال محمد بن علي بن حسين: الخصومة تحقق الدين وتثبت الشحنة في صدور الرجال.

دَعِ الْجِدَالَ وَلَا تَحْفَلْ بِهِ أَبَدًا ***** فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلْبُغْضِ مَا وَجَدَا

الْجِدَالُ سَبَبٌ حَرَمَانَ الْعِلْمِ:

عَنْ يُونُسَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ "إِيَّاكَ وَالْخُصُومَةَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَلَا تُجَادِلَنَّ عَالِمًا، وَلَا جَاهِلًا: أَمَّا الْعَالِمُ، فَإِنَّهُ يَحْزُنُ عَنْكَ عِلْمُهُ وَلَا يُبَالِي مَا صَنَعْتَ، وَأَمَّا الْجَاهِلُ، فَإِنَّهُ يُحْشِنُ بِصَدْرِكَ وَلَا يُطِيعُكَ".^٢

الْجِدَالُ مِنْ خَوَارِمِ الْمُرُوءَةِ:

قال ذو النون: (ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْكَيَاسَةِ تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْعَمَلِ بِيَسِيرِ الْعِلْمِ، وَالْإِشْتِغَالُ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِ النَّفْسِ غَافِلًا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ).^٣

١ - سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٤)

٢ - رواه الدارمي - بَابُ مَنْ قَالَ الْعِلْمُ الْحُشْيَةُ وَتَقْوَى اللَّهِ، حديث: ٣١٠

٣ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - فَضْلٌ فِي تَرْكِ تَتَبُعِ عَوَارِثِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي قُبُولِ غُدْرِهِمْ سِوَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْأَبْوَابِ قَبْلَهُ، حديث:

الْجِدَالُ يُنَافِي الْأُخُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كفى بك ظلمًا ألا تزال محاصمًا، وكفى بك إثماً ألا تزال مماريًا.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلي: ما أمارى أخى أبدًا، لأني أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه.

قيل لعبد الله بن حسين: ما تقول في المرء؟ قال: يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون دريئة للمغالبة والمغالبة أمتن أسباب القطيعة.

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصى ابنه كدامًا:¹

إِنِّي مَنْحَتِكَ يَا كَدَامَ نَصِيحَتِي ***** فاسمع لقول أب عليك شفيق

أَمَّا الْمَزَاحَةُ وَالْمَرَاءُ فَدَعَهُمَا ***** خَلْقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لَصَدِيقِ

إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدَهُمَا ***** لِمَجَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِ

وَالْجَهْلُ يَزِرُ بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ ***** وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيْ عُرُوقِ

عن محمد بن مسلم بن يسار قال: إياكم والمرء فإنه ساعة جهل العالم وبه يبتغي الشيطان زلته، قال

محمد: هذا الجدال هذا الجدال.²

١ - الآداب الشرعية (١/ ٤٧)

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٨٧)

الْجِدَالُ سَبَبُ رَفْعِ الْبَرَكَةِ وَذَهَابِ الْخَيْرِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ».^١

الْجِدَالُ يَفْسِدُ الْعِبَادَةَ أَوْ يَكَادُ أَنْ يُفْسِدَهَا:

قال الله تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾.^٢

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾.^٣

قَالَ: «تُمَارِي صَاحِبَكَ حَتَّى تُغْضِبَهُ».^٤

الْجِدَالُ سَبَبُ الْهَلَاكِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحُجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ"، ثُمَّ قَالَ: «ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».^٥

١ - رواه البخاري - كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لئلا يحيي الناس، حديث: ٢٠٢٣

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٧

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٧

٤ - تفسير ابن كثير (١/ ٥٤٦)

٥ - رواه مسلم - كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث: ٢٤٥٦

الْجِدَالُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُفَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ». ^١

ويقال: لا تمار حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يغلبك، والسفيه يؤذيك.

١ - رواه الترمذي- كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، حديث: ٢٦٤٥، رواه ابن ماجه- المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث: ٢٥١، والدارمي- باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، حديث: ٣٩٢، بسند حسن

مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي الْجِدَالِ

قال لقمان لابنه: يا بني لا تمارين حكيماً، ولا تجادلن لجوجاً، ولا تعاشرن ظلوماً، ولا تصاحبن متهماً.^١

وَقَالَ وَبَرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَوْصَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ بِكَلِمَاتٍ هُنَّ أَحْسَنُ مِنَ الدُّهْمِ الْمَوْفَقَةِ، قَالَ لِي: "يَا وَبَرَةُ، لَا تَعَرِّضْ فِيمَا لَا يَغْنِيكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ، وَلَا آمَنْ عَلَيْكَ الْوِزْرُ، وَدَعْ كَثِيرًا مِمَّا يَغْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا، فَرُبَّ مُتَكَلِّفٍ بِحَقِّ تَقْيٍّ قَدْ تَكَلَّمَ فِي الْأَمْرِ بِعَيْنِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَعَطِبَ وَلَا تُمَارِينَ حَلِيمًا، وَلَا سَفِيهًا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيكَ، وَإِنَّ السَّفِيهَ يُزْدِيكَ، وَادْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِكُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ، وَدَعُهُ مِنْ كُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدْعَكَ مِنْهُ، وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْحَسَنَاتِ مَا أَخُوذُ بِالسَّيِّئَاتِ".^٢

وقال إبراهيم التيمي: إياكم والمخاصمات في الدين، فإنها تحبط الأعمال.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل.

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل.

وقال ابن أبي الزناد: ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدلاً مثله.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته، ومن أكثر من شيء عرف به.

وقال عبد الله بن حسين على عليه السلام: المرء رائد الغضب، فأخزى الله عقلا يأتيك به الغضب.

وقال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تساره الحديث.

١ - بحجة المجالس وأنس المجالس (١/ ٩٤)

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩١

وقال مصعب الزبيري:

أَقْعَدُ بَعْدَمَا وَجَفَتْ عِظَامِي ***** وَكَانَ الْمَوْتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِي
أَجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيمٍ ***** وَأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِي
فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِي ***** وَلَيْسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالْخُصُومَةُ وَهِيَ لِبَسِّ ***** تَصْرِفُ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ

وقال مالك: «الجدال في الدين ينشئ المراءى، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضغن».

وقال أيضًا: «وليس هذا الجدال من الدين بشيء».

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: جَلَسْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا مَا جَلَسْتُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَغْبَطَ عِنْدِي، قَالَ: فَخَرَجَ مِنْ وَرَاءِ حُجَرَاتِهِ قَوْمٌ يُجَادِلُونَ بِالْقُرْآنِ، قَالَ: فَخَرَجَ مُحَمَّرَةً وَجَنَّتَاهُ كَأَنَّمَا يَقْطِرَانِ دَمًا فَقَالَ: «يَا قَوْمُ لَا تُجَادِلُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِجِدَالِهِمْ إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ لِيُكَذِّبْ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَكِنْ نَزَلَ لِيُصَدِّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا كَانَ مِنْ مُحْكَمِهِ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ مُتَشَابِهِهِ فَأَمْنُوا بِهِ»^١.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى الطَّبَّاعُ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَعْيبُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ أَرَادْنَا أَنْ نَرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جَبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^٢.
وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يَنْهَى عَنِ الْجِدَالِ إِلَّا رَجُلًا إِنْ كَلَّمْتَهُ يَرْجِعُ^٣.

١ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٧٤٠)

٢ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠٧)

٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣٠)

وَقَالَ السَّبْيَاوِيُّ: رَأَيْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْجُدَّالَ زَنَادِقَةٌ.^١

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقُلُوبَ، وَيُورِثُ الضَّغْنَ».^٢

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتَ الْمِرَاءَ فَاقْصُرْ».^٣

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ: «الْمِرَاءُ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ، وَيَحُلُّ الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ، وَأَقْلُ مَا فِيهِ أَنْ تَكُونَ

الْمُغَالَبَةُ، وَالْمُغَالَبَةُ أَمْتٌ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ».^٤

وَقَالَ سُفْيَانُ قَيْلٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ: مَا لَكَ لَا تُمَارِي إِذَا جَلَسْتَ؟ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُ بِأَمْرِ إِنْ بَالَعْتَ

فِيهِ أَثَمْتَ، وَإِنْ قَصَّرْتَ فِيهِ خُصِمْتَ».^٥

١ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٢ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٤ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٥ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣١ / ٢)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ)

حُدُّ الِاسْتِهْزَاءِ:

الِاسْتِهْزَاءُ لُغَةٌ: السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِخْفَافُ وَأَصْلُ الْبَابِ الْحِفَّةُ.

فَالِاسْتِهْزَاءُ بِالشَّيْءِ الِاسْتِهْزَانَةُ بِهِ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالشَّخْصِ احْتِفَازُهُ وَعَدَمُ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَصْحَبُ ذَلِكَ السُّخْرِيَّةُ مِنْهُ، وَهِيَ الضَّحْكُ النَّاشِئُ عَنِ الِاسْتِخْفَافِ وَالِاحْتِفَازِ، فَمَنْ حَاكَى امْرَأًا فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ زِيَّهِ أَوْ غَيْرَهَا مُحَاكَاةً احْتِفَازًا فَقَدْ سَخِرَ مِنْهُ، فَالسُّخْرِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ الِاسْتِهْزَاءَ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأَشْخَاصِ دُونَ الْأَشْيَاءِ.

الْفَرْقُ بَيْنَ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ:

الْفَرْقُ بَيْنَ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ هُوَ أَنَّ السُّخْرِيَّةَ تَدُلُّ عَلَى فِعْلٍ وَقَعَ مِنْ إِنْسَانٍ، سَبَبٌ لَهُ السُّخْرِيَّةُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَالِاسْتِهْزَاءُ لَا يَلْزِمُ تَقَدُّمَ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ مِنَ الَّذِي يُسْتَهْزَأُ بِهِ بَلْ يُسْتَهْزَأُ بِهِ ابْتِدَاءً، وَيَقَعُ كُلُّ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ.

أَسْبَابُ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ:

قَدْ يَسْخَرُ إِنْسَانٌ مِنْ آخَرٍ لِفَقْرِهِ، وَقَدْ يَسْخَرُ مِنْهُ لَجَنَسِهِ، وَقَدْ يَسْخَرُ مِنْهُ لَلْوَنِ، وَقَدْ يَسْخَرُ مِنْهُ لِمَكَانَتِهِ، فَهَلْ هَذِهِ مَبَرَّاتٌ لِلْسُّخْرِيَّةِ مِنَ الْخَلْقِ؟ نَقُولُ لَا تَجُوزُ السُّخْرِيَّةُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّ التَّفَاضُلَ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى أَسَاسِ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ يَسْخَرُ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِهِ وَيَكُونُ هَذَا الَّذِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ السُّخْرِيَّةُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ بِدَرَجَاتٍ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

مِيزَانُ التَّفَاضُلِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى:

وكما قلنا فالرفعة عند الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح وليست بالنسب ولا بالمنصب ولا بالجاه ولا بالمال.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^١.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ قَالَ ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^٢.

وعند ابن ماجه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» قَالُوا: رَأَيْكَ فِي هَذَا، نَقُولُ: هَذَا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ، أَنْ يُحْطَبَ، وَإِنْ شَفَعَ، أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ، أَنْ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: نَقُولُ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ، لَمْ يُنْكَحْ، وَإِنْ شَفَعَ، لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ، لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^٣.

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ ***** فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ***** وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكَ الشَّقِيَّ أَبَا هَبٍ

١ - سورة الحجرات: الآية / ١١

٢ - رواه البخاري- كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث: ٤٨٠٤

٣ - رواه ابن ماجه- كتاب الزُّهْد، بابُ فَضْلِ الْفُقَرَاءِ، حديث: ٤١٢٠

وإن كانت الرفعة والفضل عند الناس بخلاف ذلك قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ثَلَاثُ آيَاتٍ قَدْ جَحَدَهُنَّ النَّاسُ، الْإِذْنُ كُلُّهُ، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^١.

قَالَ وَيَقُولُونَ: إِنَّ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُهُمْ شَأْنًا، قَالَ: وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾^٢.

السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ مِنْ أَحْصَى صِفَاتِ الْكُفَّارِ:

قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^٣.

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾^٤.

أي إذا رأوا حجة من الحجج أو برهان من البراهين التي تدل عليها الآيات القرآنية وفيها دليل وحدانية الله تعالى وتصديق رسل الله قابلوا ذلك بالسُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يُأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٥.

وقال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٦.

السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ مِنْ أَظْهَرَ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لُفُّوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^٧.

١ - سورة الحجرات: الآية / ١٣

٢ - سورة النساء: الآية / ٨

٣ - سورة هود: الآية / ٣٨

٤ - سورة الصافات: الآية / ١٢ : ١٤

٥ - سورة الحجر: الآية / ٩ ، ١٠

٦ - سورة يس: الآية / ٣٠

٧ - سورة البقرة: الآية / ١٤

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٢.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٣.

نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يُعَانُونَ مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ تَوْرِيَّةٌ لِمَا يَقْصِدُونَهُ مِنَ التَّنْقِصِ -عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ- فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: اسْمَعْ لَنَا يَقُولُونَ: رَاعِنَا. يُورُونَ بِالرُّعُونَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسُنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٤.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَيْ؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ "فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾، حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا"^٥.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا

١ - سورة التوبة: الآية / ٧٩

٢ - سورة التوبة الآية / ٦١

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٠٤

٤ - سورة النساء: الآية / ٤٦، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٣)

٥ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾، حديث رقم: ٤٦٢٢، سورة

المائدة: الآية / ١٠١

عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤِثُّبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^١.

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ^٢﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾ طعان معياب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة، يهمزه في وجهه، واللمزة من خلفه. وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم. وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللمزة: باللسان. وهكذا قال ابن زيد. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: همزة لحوم الناس.

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق. وقيل غيره. وقال مجاهد: هي عامة.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^٣.

السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ سَبَبُ نَسْيَانِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ^٤﴾.

١ - سورة المطففين: الآيات / ٢٩ : ٣٦

٢ - سورة الهمزة الآية / ١

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٩٣٥١، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٢٥٧

٤ - سورة المؤمنون: الآية / ١٠٩ : ١١١

لقد انشغل الكفار بالسّخرية من أهل الإيمان بإشارات أو لمزٍ وغمزٍ أو اتهام بالرجعية أو الدروشة أو مثل ذلك من ألوان السّخرية، لدرجة أنهم نسوا مسألة الإيمان، فما الذي أنساهم ذكر الله؟ لقد أنساهم ذكر الله انشغالهم بالسّخرية من أهل الإيمان.^١

السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ قَدْ تَكُونُ كُفْرًا بِاللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.^٢

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَخْلُو أَنَّ يَكُونُ مَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرًا، فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكَفْرِ كُفْرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ. فَإِنَّ التَّحْقِيقَ أَخُو الْعِلْمِ وَالْحَقِّ، وَالْهَزْلُ أَخُو الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ. قَالَ عَلَمَاؤُنَا: انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: "أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًّا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ".^٣

جَزَاءُ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ:

لقد أخبرنا الله عز وجل أن الإسْتِهْزَاءَ وَالسُّخْرِيَّةَ عقاب المعاندين المكذبين المستهزئين بالرسول والمؤمنين في الدنيا جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحداً، فالجزاء من جنس العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.^٤

ومعنى قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ أن الله تعالى يجازيهم على استهزائهم وسخريتهم بالعقاب والعذاب، وقيل: إن الله تعالى يأخذهم من حيث لا يعلمون كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: إن الله تعالى يظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة كما أظهروا للمسلمين خلاف ما أسروا به في الدنيا.

١ - تفسير الشعراوي (١/ ١٢٩٠)

٢ - سورة التوبة: الآية/ ٦٥، ٦٦

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٦٧، تفسير القرطبي (٨/ ١٩٧)

٤ - سورة البقرة: الآية/ ١٤، ١٥

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، أي: ينتقم منهم ويعاقبهم ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم فسمى العقوبة باسم الذنب هذا قول الجمهور من العلماء والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ***** فَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وقال قوم: الخداع من الله والاستهزاء هو استدراجهم بدرور النعم الدنيوية عليهم فالله سبحانه وتعالى يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستتر عنهم من عذاب الآخرة فيظنون أنه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء ومكر وخداع ودل على هذا التأويل قوله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ»^١.

وقال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾^٣.

١ - تفسير القرطبي (١/ ٢٥٣)، بتصرف

٢ - سورة هود: الآية/ ٣٨، ٣٩

٣ - سورة المطففين: الآية/ ٣٤، ٣٥

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْمَنْ بِالْعَطِيَّةِ)

تعريفُ الْمَنْ:

الْمَنْ: هو ذكر العطية أو الفعل على صورة يتأذى بها الآخذ والاعتداد به.

قال ابن منظور: الْمَنْ أَنْ تَمَنَّ بِمَا أُعْطِيَ وتعتدّ به.^١

ثَوَابُ الصَّدَقَةِ:

قبل أن نتكلم عن حكم المن بالعطية وخطر هذه الصفة القبيحة على صاحبها، نذكر شيئاً من فضل الصدقة ومن عظيم منزلتها إذا خلت من المن والأذى.

المتصدق في ظلّ الله تعالى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».^٢

إذا تصدق العبد وعلم الله منه أنه لا يريد بصدقته إلا وجه الله تعالى لا يريد رياء ولا سمعة ولم يعقب صدقته منا ولا أذى كان يوم القيامة في ظلّ الله تعالى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ومن أمارات الإخلاص المبالغة في إخفاء الصدقة.

١ - لسان العرب (١٣/ ٤١٥)

٢ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، حديث: ٦١٢٤، ومسلم- كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث: ١٧٧٤

الْصَّدَقَةُ فَكَأَنَّكَ لِرَقَبَةِ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَيَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»^١.

فهذا أمر من النبي ﷺ للنساء بالصدقة، حتى تكون صدقاتهن كفارات لما يبدر منهن من معاص توجب لهن النار.

الْصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئَ عَلَى أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»^٢.

الْمُؤْمِنُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ»^٣.

١ - رواه البخاري - كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث: ٣٠٠، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، حديث: ١٣٩.

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ١٤٦٢٢، والبيهقي في الشعب - التحريض على صدقة التطوع، حديث: ٣١٩٢، بسند حسن.

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٧٠٢١، وابن خزيمة - كتاب الزكاة، جماع أبواب صدقة التطوع، باب إبطال الصدقة صاحبها يوم القيامة إلى الفراغ من الحكم بين الناس، حديث: ٢٢٦١، وابن حبان - كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، ذكر البيان بأن ظل كل امرئ في القيامة يكون صدقته، حديث: ٣٣٦٩، والحاكم في المستدرک - كتاب الزكاة، حديث: ١٤٥٠، والبيهقي في السنن - كتاب الجنائز جماع أبواب صدقة التطوع، باب التحريض على الصدقة وإن قلت، حديث: ٧٢٩٦، والطبراني في الكبير - حديث: ١٤٦٠٥، بسند صحيح.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَمَّا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»^١.

الْصَّدَقَةُ يَتَضَاعَفُ أَجْرُهَا لِصَاحِبِهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُهَا بِيمينِهِ فَيُرِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَى أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ»^٢.

حُكْمُ الْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ:

المن بالعطية محرم، بل هو كبيرة من الكبائر، يُبطل الشكر، ويمحُ الأجر، ودليل على الدناءة، وسوء الخلق.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^٣.

قال الزين بن المنير: وجه الاستدلال من الآية أن الله تعالى شبه مقارنة المن والأذى للصدقة أو إتباعها بذلك بإنفاق الكافر المرائي الذي لا يجد بين يديه شيئاً منه، ومقارنة الرياء من المسلم لصدقته أقبح من مقارنة الإيذاء وأولى أن يشبه بإنفاق الكافر المرائي في إبطال إنفاقه.

وقال القرطبي: قال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي بها فإنها لا تقبل، وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمانة فهو لا يكتبها، وهذا حسن. والعرب تقول لما يمن به: يد سوداء، ولما يعطى عن غير مسألة: يد بيضاء. ولما يعطى عن مسألة: يد خضراء.

١ - تقدم تحريجه.

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، حديث: ١٣٥٥

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٦٢ : ٢٦٤

وقال بعض البلغاء: من مَنْ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شُكْرُهُ، وَمِنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَبَطَ أَجْرُهُ.

وقال بعض الشعراء:

وصاحب سلفت منه إلي يد *****
أبطأ عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربي *****
أبدى الندامة فيما كان أولاني

وقال أبو بكر الوراق فأحسن:

أحسن من كل حسن *****
في كل وقت وزمن
صنيعة مربوبة *****
خالية من المنن

وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لرجل: وفعلت إليك وفعلت! فقال له: اسكُتْ فَلَا حَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ، إِذَا أُحْصِيَ.^١

وقال سفيان والمفضل في قوله: ﴿مَنْ لَا أَدَى﴾، هو أن يقول أعطيتك فما شكرت.

وقال الضحاك: أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منّا وأدى.

وقال القرطبي: مَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَمُنُّ وَيُؤْذِي بِصِدْقَتِهِ بِالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ لَا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْكَافِرِ الَّذِي يُنْفِقُ لِيُقَالَ جَوَادٌ وَلِيُثْنَى عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الثَّنَاءِ. ثُمَّ مَثَلُ هَذَا الْمُنْفِقِ أَيْضًا بِصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَيُظَنُّهُ الظَّانُّ أَرْضًا مُنْبَتَّةً طَيِّبَةً، فَإِذَا أَصَابَهُ وَابِلٌ مِنَ الْمَطَرِ أَذْهَبَ عَنْهُ التُّرَابَ وَبَقِيَ صُلْدًا، فَكَذَلِكَ هَذَا الْمُرَائِي. فَالْمَنْ وَالْأَدَى وَالرِّيَاءُ تَكْشِفُ عَنِ النَّبِيَّةِ فِي الْآخِرَةِ فَتَبْطُلُ الصَّدَقَةُ كَمَا يَكْشِفُ الْوَابِلُ عَنِ الصَّفْوَانِ، وَهُوَ الْحَجَرُ الْكَبِيرُ الْأَمْلَسُ.^٢

١ - تفسير القرطبي (٣/ ٣١٢)

٢ - تفسير القرطبي (٣/ ٣١٢)

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ: «إِنْ أُذِنَ لَكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَوْ تَقْوَى فَقَوَّيْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَظَنَنْتَ أَنَّهُ يَنْثَقِلُ عَلَيْهِ سَلَامُكَ فَكُفَّ سَلَامُكَ عَنْهُ» قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ السَّلَامِ».

وقالت امرأة لزيد بن أسلم: يَا أَبَا أُسَامَةَ، تَذُلُّنِي عَلَى رَجُلٍ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا لِيَأْكُلُوا الْفَوَاكِهَ، عِنْدِي جَعْبَةٌ وَأَسْهَمٌ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا: لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي جَعْبَتِكَ، وَلَا فِي أَسْهَمِكَ، فَقَدْ آذَيْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ تُعْطِيَهُمْ.^١

الْمَنَانُ لَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَابُوا وَحَسِرُوا أَعَادَهَا ثَلَاثًا. قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَابُوا وَحَسِرُوا فَقَالَ «الْمُسْبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْخَلْفِ الْكَاذِبِ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَمُذْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ».^٣

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَانٌ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ مُذْمِنٍ خَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٍ بِسِحْرِ وَلَا قَاطِعٍ رَحِمٍ وَلَا كَاهِنٍ وَلَا مَنَانٍ».^٤

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُذْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا عَاقٌ، وَلَا مَنَانٌ».^٥

١ - تفسير الطبري (٥ / ٥١٩)، تفسير الثعلبي (٢ / ٢٥٩)

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار، حديث: ١٧٩

٣ - رواه أحمد - حديث: ٦١٨٠، والنسائي - كتاب الزكاة، المنان بما أعطى، حديث: ٢٥٢٨، وابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، ذكر نفي نظر الله جل وعلا في القيامة إلى أقوام من أجل أفعال ارتكبوها، حديث: ٧٤٤٨، بسند صحيح

٤ - رواه أحمد - حديث: ١٠٨٩٥، بسند صحيح

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مَنَّانٌ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ»^١.

الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ يُبْطِلُ ثَوَابَهَا:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^٢.

الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ:

قال القرطبي: المن يقع غالباً من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية، وإن كانت حقيرة في نفسها، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنه مُنْعِمٌ بماله على المُعْطَى، وموجب ذلك كله الجهل، ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه.

وقال بعض السلف: من منّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.

وصدق القائل:

أفسدت بالمنّ ما قدمت من حسن ***** ليس الكريم إذا أعطى بمنان

الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ أَسْبَابِ الضَّغِينَةِ:

وأنشد الشافعي:

لا تحملنّ من الأنام ***** بأن يمنوا عليك منة

٥ - رواه الطبراني في الكبير حديث: ١٠٩٦٣، والخراطي في مساوئ الأخلاق - باب ما جاء فيمن يعطي العطية ويمن بها من

الكرهة، حديث: ٦٧١، بسند حسن

١ - رواه الطيالسي - حديث: ١٢١٢، بسند حسن

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٦٤

واختر لنفسك حظها ***** واصبر فإن الصبر جنة

منن الرجال على القلوب ***** أشد من وقع الأسنة

الْمَنُ يَكُونُ بِالْعَطِيَّةِ وَبِغَيْرِهَا:

وكما يكون المن بالعطية يكون غيرها كذلك، قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^١.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ إِلَيَّ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ إِلَيَّ، وَعَالَةً فَأَعَانَا اللَّهُ إِلَيَّ» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذًا وَكَذَا، أَنْتَرَضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاِدِيًا وَشَعْبًا لَسَلَكَتُ وَاِدِيِ الْأَنْصَارِ وَشَعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسُ دِثَارُ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُتْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^٢.

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ:

لَا تَدْخُلَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ ***** فَلَخِيرٌ دَهْرَكَ أَنْ تُرَى مَسْؤُولًا

لَا تَجْبَهَنَّ بِالرَّدِّ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ ***** فَبَقَاءٌ عِرْكَ أَنْ تُرَى مَأْمُولًا

١ - سورة الحجرات: الآية / ١٧

٢ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث: ٤٣٣٠، ومسلم - كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على

الإسلام وتَصَبَّرَ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، حديث: ١٠٦١

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى)

تَعْرِيفُ الْحَلْفِ:

الْحَلْفُ لُغَةً: هُوَ الْقَسْمُ.

قال الخليل: الْحَلْفُ وَالْحَلْفُ لُغَتَانِ فِي الْقَسْمِ.^١

وَيُطْلَقُ الْحَلْفُ عَلَى الْيَمِينِ وَالْإِيلَاءِ وَالْقَسَمِ وَهِيَ الْفَاطَةُ مُتَقَارِبَةٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْحَلْفِ: أَنَّ الْقَسْمَ أُبْلَغُ مِنَ الْحَلْفِ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَنَّهُ صَارَ ذَا قَسَمٍ بِاللَّهِ، وَالْقَسَمُ النَّصِيبُ وَالْمُرَادُ أَنَّ الَّذِي أَقْسَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ قَدْ أَحْرَزَهُ وَدَفَعَ عَنْهُ الْخِصْمَ بِاللَّهِ، وَالْحَلْفُ مِنْ قَوْلِكَ سَيْفٌ حَلِيفٌ أَيْ قَاطِعٌ مَاضٍ فَإِذَا قَلْتَ حَلَفَ بِاللَّهِ فَكَأَنَّكَ قَلْتَ قَطَعَ الْمُخَاصِمَةَ بِاللَّهِ فَالْأَوَّلُ أُبْلَغُ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْآخِرِ مَعَ دَفْعِ الْخِصْمِ فِيهِ مَعْنِيَانِ وَقَوْلِنَا حَلَفَ يَفِيدُ مَعْنَى وَاحِدًا وَهُوَ قَطَعَ الْمُخَاصِمَةَ فَقَطَ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَحْرَزَ الشَّيْءَ بِاسْتِحْقَاقٍ فِي الظَّاهِرِ فَلَا خِصْمَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ فِيهِ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ دَفَعَ الْخِصْمَةَ فِي الشَّيْءِ فَقَدْ أَحْرَزَهُ، وَالْيَمِينُ اسْمٌ لِلْقَسَمِ مُسْتَعَارٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَقَاسَمُوا عَلَى شَيْءٍ تَصَافَقُوا بِأَيْمَانِهِمْ ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سُمِّيَ الْقَسَمُ يَمِينًا.^٢

وَالْأَيْمَانُ جَمْعُ يَمِينٍ وَهِيَ لُغَةٌ الْيَدِ الْيُمْنَى وَأُطْلِقَتْ عَلَى الْحَلْفِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَخَالَفُوا أَخَذَ كُلُّ يَمِينٍ صَاحِبِهِ وَقِيلَ لِأَنَّهُمَا تَحَفَّظُ الشَّيْءَ عَلَى الْحَالِفِ كَمَا تَحَفَّظُهُ الْيَدُ.

وَالْحَلْفُ اصْطِلَاحًا هُوَ: تَحْقِيقُ أَمْرٍ غَيْرِ ثَابِتٍ، مَاضِيًّا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا، مُمَكِّنًا أَوْ مُمْتَنِعًا، مَعَ الْعِلْمِ بِالْحَالِ، أَوْ مَعَ الْجَهْلِ بِهِ.

١ - كتاب العين (٣ / ٢٣١)

٢ - الفروق اللغوية (١ / ٤٢٩)

الْيَمِينُ أَفْسَامٌ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: الْيَمِينُ الْغَمُوسُ:

وهي أن يحلف على أمرٍ ماضٍ كاذبًا عَالِمًا.

وُسِّمَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ أَوْ فِي النَّارِ وَهِيَ مِنَ الْكِبَائِرِ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا سُوءَ مَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^١.

ومعنى دَخَلًا أي مَكْرًا وَخِيَانَةً.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكِبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكِبَائِرُ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قُلْتُ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ الَّذِي يَفْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»^٣.

واختلف العلماء هل فيها كفارة أم لا؟

على قولين:

أَوَّلُهُمَا: فِيهَا كَفَّارَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾، الْآيَةُ [الْمَائِدَةُ: ٨٩]؛ وَلِأَنَّهُ حَلَفَ بِاللَّهِ وَهُوَ مُحْتَارٌ كَاذِبٌ فَصَارَ كَمَا لَوْ حَلَفَ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ وَالْإِثْمُ لَا يَمْنَعُ وَجُوهًا كَمَا فِي الظَّهَارِ وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَالْأَوَّلَ عِيٍّ.

١ - سورة النحل: الآية ٩٢/

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنَّذْرِ، بَابُ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٣٠٩

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ اسْتِثَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقَتْلِهِمْ، بَابُ إِثْمٍ مِنْ أَشْرَكٍ بِاللَّهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٥٣٨

ثَانِيهِمَا: يَمِينٌ لَيْسَ فِيهَا كَفَّارَةٌ. وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^١.

وَعَقْدُ الْيَمِينِ مَا التَّزَمَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ حِنْثٍ وَبَرٍّ، فَخَرَجَتِ الْيَمِينُ الْعُمُوسُ مِنَ الْأَيْمَانِ الْمَعْقُودَةِ، فَلَمْ يَلْزَمْ بِهَا كَفَّارَةٌ.

الثَّانِي: الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ:

وهي اليمين التي قصد عقدها على أمر مستقبل ممكن.

الثَّلَاثُ: الْيَمِينُ اللَّغْوُ:

وهي اليمين التي تجري على لسان الحالف بغير قصد الحلف كقوله في أثناء كلامه: (لا والله، ويلي والله).

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ خِلَافٍ مَهِينٍ﴾^٣.

قال ابن كثير رحمه الله: وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانتة إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.^٤

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ وَأَبِي وَأَبِي فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ» قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهِ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا.^٥

١ - سورة المائدة: الآية / ٨٩

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٥

٣ - سورة القلم: الآية / ١٠

٤ - تفسير ابن كثير (١٩٠ / ٨)

٥ - رواه البيهقي في السنن - كتاب الأيمان، باب كراهية الحلف بغير الله عز وجل، حديث رقم: ١٨٤٥٠

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»^١.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»^٢.

كِرَاهِيَةُ كَثْرَةِ الْحَلْفِ:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾^٣.

وهذه الآية الكريمة فيها ذم لكثرة الحلف، لأنها تشعر بأن العبد إذا كان كثير الحلف فليس لله تعالى في قلبه من الوقار ما يمنعه عن الاجترار على القسم بالله تعالى على الكبير والصغير والعظيم والحقير.

قال أبو حيان: لأن الحلاف مجترئ على الله، غير معظم له، فلا يكون براً متقياً، ولا يثق به الناس، فلا يدخلونه في وساطتهم وإصلاح بذات بينهم^٤.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»^٥.

قال البيهقي: ويحتمل أن يكون المراد به في حديث ابن مسعود وعمران الرجل يشهد بما لا يعلم يكون شاهد زور، وقد قيل: المراد به كراهية الحلف في الشهادة والإكثار منه.

قال ابن حجر: قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَرَّعُونَ وَيَسْتَهِينُونَ بِأَمْرِ الشَّهَادَةِ وَالْيَمِينِ^٦.

١ - رواه أبو داود (٢١٧/٣)

٢ - رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ - كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، حديث: ٢٠٩٨، بسند صحيح

٣ - سورة القلم: الآية/ ١٠

٤ - تفسير البحر المحيط (١٨٩/٢)

٥ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: ٢٥٣٠، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم، حديث: ٤٧٠٤

٦ - فتح الباري لابن حجر (١٦١/٨)

قال القاضي عياض: وقيل معناه هنا يحلفون كذبا ولا يستحلفون.^١

الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلْسِّلَعَةِ مَحَقَّةٌ لِلرَّيْحِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلْسِّلَعَةِ مَحَقَّةٌ لِلرَّيْحِ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا﴾ الآية.^٣

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "أَيَّمَانُ اللَّغْوِ مَا كَانَ فِي الْمِرَاءِ وَالْهَزْلِ وَمُزَاخَةِ الْحَدِيثِ الَّذِي لَا يَعْقِدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنَّمَا الْكُفَّارَةُ فِي كُلِّ يَمِينٍ حَلَفْتَهَا عَلَى جِدٍّ مِنَ الْأَمْرِ فِي غَضَبٍ، أَوْ غَيْرِهِ: لَتَفْعَلَنَّ، أَوْ لَتَتَرَكَنَّ، فَذَلِكَ عَقْدُ الْأَيْمَانِ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ فِيهَا الْكُفَّارَةَ".^٤

قال البخاري رحمه الله: بَابُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. ثم روى بسنده عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ لَا وَاللَّهِ، بَلَى وَاللَّهِ.^٥

خَطَرُ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَأَنْ أَلْحِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْحِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا.^٦

١ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٥٩)

٢ - رواه البخاري- كتاب البيوع، باب يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل، حديث: ١٩٩٧، ومسلم- كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع حديث: ٣٠٩٩

٣ - رواه البخاري- كتاب البيوع، باب ما يكره من الحلف في البيع، حديث: ١٩٩٨

٤ - رواه البيهقي في السنن الكبرى- حديث رقم: ١٩٩٣٥

٥ - رواه البخاري- كتاب الأيمان والنذور، باب لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، حديث: ٦٢٩٧

٦ - رواه الطبراني في الكبير- حديث: ٨٧٦٨، وعبد الرزاق في مصنفه- كتاب الأيمان والنذور، باب الأيمان، حديث: ١٥٤٠٢، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الأيمان والنذور والكفارات، الرجل يحلف بغير الله أو بأبيه، حديث: ١٣٨٤١، بسند صحيح

الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شِرْكٌ:

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَحْلِفُ لَا وَالْكَعْبَةَ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه:
إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^١.

مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ:

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ
وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَعَنَ
مُؤْمِنًا فَهُوَ كَفْتَلُهُ وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^٢.

الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَنْهِيٌّ عَنْهُ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ
بِأَيِّهِ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ». قَالَ عُمَرُ
فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا^٣.

حُكْمُ الْحَلْفِ بِالْأَمَانَةِ:

الحلف بالأمانة ليس من دين الله تعالى، بل هو منهي عنه، وذلك لأن الحلف يجوز أن يكون بغير الله تعالى.

فَعَنِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»^٤.

١ - رواه أحمد - حديث: ٥٩٠٥، وأبو داود - كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، حديث: ٢٨٤٥، والترمذي - أبواب النذور والأيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك، حديث: ١٤٩٦، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، حديث: ٥٧٠٧

٣ - رواه البخاري - كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، حديث رقم: ٦٢٨٢، ورواه مسلم، كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، حديث رقم: ٣١٨٩

٤ - رواه أبو داود - كتاب الأيمان والنذور، في باب كراهية الحلف بالأمانة، حديث رقم: ٢٨٤٧

مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا:

الواجب على مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، أَنْ يَكْفِرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، بعض الناس قد يحلف لا يكلم أحداً، أو لا يدخل له بيتاً، فليس من البر اللجاجة في الخصام، ولا قطيعة الأرحام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾^١.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: (أي لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سبباً للامتناع من فعل الخير). انتهى^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ»^٣.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا»^٤.

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٤

٢ - أضواء البيان (٥ / ٤٨٧)

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، حديث رقم: ٣١٩٨

٤ - رواه البخاري - كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، حديث: ٢٩٨١، ومسلم - كتاب

الإيمان، باب نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، حديث: ٣١٩٦

مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ

(لُزُومُ الْعَبْدِ بَيْتِهِ)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ وَابْنَكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^١.

فائدة لُزُومُ الْعَبْدِ بَيْتِهِ:

لُزُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنَ الْفِتَنِ:

والفتن نوعان الذنوب والمعاصي، والفتن التي تموج موج البحر.

ومن الفتن الذنوب والمعاصي وقد دل على ذلك ما رواه حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرَضَ الْحَصِيرِ فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيِّضَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَبْشَرَ بِهَا نُكِّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُزَبَّدٌ كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا وَأَمَالُ كَفَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^٢.

والفتن نوعان: الذنوب والمعاصي، والفتن التي تموج موج البحر فعَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ،

١ - رواه أحمد، والترمذي بسند صحيح وقد تقدم

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، حديث: ٢٣٣

قَالَ: ذَاكَ أُخْرَى أَنْ لَا يُعْلَقَ، قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعَالِيَطِ، فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوفًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنْ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ.^١

لُزُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي:

من فوائد لزوم المسلم بيته أن في لزوم البيت أمان من كثير من الذنوب والمعاصي، فمن ذلك النظر إلى الحرام، لاسيما في كثير من المجمعات التي يكثر فيها الاختلاط، وإلف المعاصي، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك الوقوع في الغيبة والنميمة والبهتان لاسيما في كثير من المجالس التي تخلوا من ذكر الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرَقَاتِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ قَالَ «عَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».^٢

لُزُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تُمُوجُ كَمُوجِ الْبَحْرِ:

ومن فوائد لزوم المسلم بيته أن في لزوم البيت أمان من الفتن التي تُمُوجُ كَمُوجِ الْبَحْرِ، التي يصبح فيها العبد مؤمناً ويمسي كافراً عياداً بالله أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».^٣

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوِّمَ الْبَيْتَ بِالْوَصِيفِ؟» - يَعْنِي الْقَبْرَ - قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ: «تَصَبَّرْ» قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الفتن، باب الفتنة التي تُمُوجُ كَمُوجِ الْبَحْرِ، حديث: ٦٧٠١، ومُسْلِمٌ - كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ الْفِتْنَةِ الَّتِي تُمُوجُ كَمُوجِ الْبَحْرِ، حديث: ٧٠٩٦

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾، حديث: ٥٨٨٤، ومُسْلِمٌ - كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، حديث: ٤٠٥٤

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْحَتِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهِرِ الْفِتَنِ، حديث: ١٨٦

تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْعَقَّةِ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارُهُ الزَّيْتِ بِالْدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَا، وَلَكِنْ ادْخُلْ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دَخَلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِأَثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».^١

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «الزَّمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةٍ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ».^٢

استحبابُ صلاةِ التَّوَاتُلِ فِي الْبُيُوتِ:

من فوائد لزوم المسلم بيته ما يحصل في البيت من البركة والخير بسبب الصلاة، وتلاوة القرآن، وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا».^٣

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا لَيَالِي، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَنَخُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٠٩١٩، وأبو داود - كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث: ٣٧٣٥، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب الثبوت في الفتنة، حديث: ٣٩٥٦، وابن حبان - ذكر البيان بأن على المرء عند وقوع الفتن العزلة والسكون، حديث: ٦٠٤٥ بسند صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث: ٦٨٢٧، ورواه أبو داود - كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث: ٣٨٠١، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب كراهية الصلاة في المقابر، حديث: ٤٢٤، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث: ١٣٣٦

فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمْ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ، حَتَّى حَشِيتُمْ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُتِمْتُمْ بِهِ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ»^١.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتًا يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^٢.

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو الْبَجَلِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطَوُّعًا وَعَنِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَعَنِ الرَّجُلِ مَا يَصْلُحُ لَهُ مِنْ أَمْرَاتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَقَالَ أَسْحَارُ أَنْتُمْ لَقَدْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطَوُّعًا نُورٌ فَمَنْ شَاءَ نَوَرَ بَيْتَهُ» وَقَالَ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ: «يَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثًا». وَقَالَ فِي الْحَائِضِ «لَهُ مَا فَوْقَ الْإِزَارِ»^٣.

حُسْنُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ:

من فوائد ملازمة البيت إلا لما لا بد منه كالصلاة المفروضة، وكسب المعاش، وحضور الجمع والجماعات والعيدين، وعيادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وصلة الأرحام، وحضور مجالس العلم، وغيرها مما يحتاجه العبد في حياته، ومنها تعاهد الأهل والأولاد بالتربية، ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس يتركون أولادهم بلا تربية ولا تأديب، ومنهم من يسلم أولاده إلى الخدم ليتولوا تربيته، ومنهم من يسلمهم لوسائل الإعلام، يأخذون منها دينهم ويستقون منها عقيدتهم، ومنهم من يسلم أولادهم لقرنائهم يتعلمون منهم ويتخلقون بأخلاقهم، فإذا ما وجد انحرافاً في سلوك أولاده، واعوجاجاً في أخلاقهم، تملكه العجب، ولم يعلم أنه إنما أتى من قبيل فعله السيئ وعمله القبيح، لأنه من أحلاس المقاهي مثلاً، أو لأنه لا يرى أولاده إلا نادراً، ولا يعرف عنهم أكثر مما يعرفه الغريب، وأنا أذكر هنا نقاط تعين في تربية الأولاد هي

١ - رواه البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، حديث: ٦٨٨١، ومسلم -

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث: ١٣٤١

٢ - رواه الحاكم - كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضل سورة البقرة، حديث: ٢٠٠٥، والطبراني في الكبير - حديث: ٨٥٢٢

٣ - رواه أحمد - حديث: ٨٧

عبارة عن منهج الإسلام في تربية الأولاد، ومع ذلك فهي لا تضمن هدايتهم وصلاحهم وإنما هدايتهم وصلاحهم من الله تعالى.

لذلك قيل:

ليس اليتيم من انتهى أبواه ***** مِنْ هَمِّ الحياة وخلفاه ذليلاً

إِنَّ اليتيم هو الذي تلقى له ***** أماً تخلت أو أباً مشغولاً

مسئولية الآباء نحو أبنائهم

الأبناء أمانة استودعها الله تعالى الآباء والأمهات، يجب عليهم حفظها من أسباب التلف، وسبل الهلاك، ويجب عليهم تعهدها بالرعاية، كما يتعهد النبات ويحفظ من سائر الآفات.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^١.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^٢.

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس لا يعرف قدر هذه المسؤولية، ولا عظم هذه الأمانة، فيفرط فيها أيما تفريط، ويضيعها من حيث يحسب أنه يحفظها.

ولا شك أن للتفريط في تربية الأولاد عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا العقوق أثر من آثار هذا التفريط، وفي الآخرة حرمان الجنة أثر التفريط في تربيتهم؛ لأنهم أمانة في أعناق الأبوين.

فَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: عَادَ غُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^٣.

١ - سورة التحريم: الآية / ٦

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث: ٨٦٧، ومُسْلِمٌ - كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، حديث: ٣٤٩٦

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، حديث: ٦٧٥١، ومُسْلِمٌ - كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث: ٢٢٩

متى تبدأ تربية الأولاد؟

قد يَعْجَبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ تَرْبِيَةَ الْأَبْنَاءِ تَبْدَأُ قَبْلَ إِنْجَابِهِمْ؛ بَلْ تَبْدَأُ مِنْ لَحْظَةِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ الَّتِي سَتَكُونُ أُمًّا لِهَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَا لَهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاتُفَرِّ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»^١.

وإرشاد النبي ﷺ لذات الدين لأنها ستكون أما للأولاد، ومربية ومعلمة لهم، فإذا كانت عارية من الأخلاق، فقيرة في دينها، كان أولادها كذلك؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِيَّاهُمْ»^٢.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث: ٤٨٠٣، ومُسْلِمٌ - كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، حديث: ٢٧٣٩

٢ - رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه - كتاب النكاح، باب الأكفاء، حديث: ١٩٦٤، والبيهقي في السنن - كتاب النكاح، جماع أبواب اجتماع الولاة، باب اعتبار الكفاءة، حديث: ١٢٨٥٥، بسند صحيح

مقومات التربية السليمة:

السعي في إصلاح العبد لنفسه والمداومة على التقوى:

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^١.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^٢.

فقد يحفظ الله ذرية العبد بسبب صلاحه بعد موته كما في الآية السابقة فقد كانت علة بناء الخضر للجدار هي ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فقد حفظهما الله تعالى بصلاح أبيهما.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِأَبْنِهِ: لَا زَيْدَنَّ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ، رَجَاءً أَنْ أُحْفَظَ فِيكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^٣.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ إِلَّا حَفِظَهُ اللَّهُ فِي عَقِبِهِ وَعَقِبِ عَقِبِهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَكِّدِرِ: إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ وَسِتْرٍ^٤.

١ - سورة النساء: الآية/٩

٢ - سورة الكهف: الآية/٨٢

٣ - سورة الكهف: الآية/٨٢

٤ - جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٧)

غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم:

إن غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد يجب أن يكون على رأس الأولويات بالنسبة للآباء، ولم لا؟ وذلك من مقاصد الشريعة الغراء، فهي رأس الأمر، والغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب، ولأجلها قامت سوق الجنة والنار.

ولو كان العبد في غاية الاجتهاد في العبادة، صوامًا قوامًا ولكنه فاسد الاعتقاد، فليس لعبادته وزن يذكر، ولا ينتفع منها بقليل ولا كثير، ودليل ذلك ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ مَعْبُدُ الْجَهَنِّي بِالْبَصَرَةِ قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا حُجَّاجًا أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيُّ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَافَقْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَبْلَنَا نَاسًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ وَيَقُولُونَ: لَا قَدَرَ وَإِنَّمَا الْأَمْرُ أَنْفُ قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَيَّ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَيُّهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.^١

ومما يدل على أنَّ غرس العقيدة من الأولويات في هذا الدين ما رواه عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ».^٢

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.^٣

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، حديث: ٣٤

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته، حديث: ٦٩٦٠، ومُسْلِمٌ - كتاب الإيمان، باب الأمر

بالإيمان بالله ورسوله، حديث: ٥٣

٣ - سورة لقمان: الآية/ ١٣

وقال تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^١.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظَ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظَ اللَّهُ بَحْدَهُ بُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُمِعَتِ الصُّحُفُ»^٢.

تعويدهم على العبادة منذ الصغر:

إن النشأة في ظل الطاعة وفي كنف العبادة لها أبلغ الأثر على الإنسان طول عمره، إذ أن ذلك يجعله يألف هذه العبادة ويألف أهلها، وتلين بها جوارحه، وتعتاد عليها نفسه وأعضائه، وكم رأينا مَنْ ينفر من الصيام بحجة أنه ما اعتاد عليه، أو يخجل من دخول المساجد لأنه ما تعود على الصلاة صغيراً، أو يخشى من نظر الناس إليه إذا رآوه في الصف بين المصلين، ومن تخجل من لبس الحجاب لأنها ما اعتادت على لبسه قبل البلوغ، فيكون ذلك من أعظم الصوارف عن الطاعة.

قال الله تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^٣.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^٤.

وَعَنْ الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمِّمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ

١ - سورة لقمان: الآية/ ١٦

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢٥٩٢، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، حديث: ٢٥٠٠

٣ - سورة لقمان: الآية/ ١٧

٤ - رواه أبو داود - كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث: ٤٢٣، بسند صحيح

نُصُومُهُ وَنُصُومُ صِبْيَانِنَا الصِّغَارِ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَصْنَعُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَنَذْهَبُ بِهِ مَعَنَا فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ أَعْطَيْنَاهُمْ اللَّعْبَةَ نُلهِيهِمْ حَتَّى يَتِمُّوا صَوْمَهُمْ»^١.

وما أجمل النشأة على الطاعة، وما أروع النمو في كنف الهداية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ بَعَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^٢.

غرس الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوسهم:

الِاسْتِثْنَاءُ:

ومن ذلك الِاسْتِثْنَاءُ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ طَوْفًا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^٣.

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس قد وقع منهم تفريط ظاهر في هذه الآداب، حتى أصبحت مستغربة عند كثير منهم، مستهجنة أحياناً إذا دعا إليها داع، أو سعى في إحياء مِيتَتِهَا ساع؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "تَرَكَ النَّاسُ ثَلَاثَ آيَاتٍ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"^٤.

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكيف بقية يومه، حديث: ١٩٨٤

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، حديث: ١٣٦٨، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة،

حديث: ١٧٧٤

٣ - سورة النور: الآية/ ٥٨

٤ - سورة النور: الآية/ ٥٨

وَالْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾^١.

وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحُجُرَاتِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^٢.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُريَانَةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا»^٣.

آداب الطعام:

ومن ذلك آداب الطعام كالسمية والأكل باليمين؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ سَمِ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»^٤.

عدم خلف الوعد:

ومن ذلك خلف الوعد فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ». قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ»^٥.

١ - سورة النساء: الآية/ ٨

٢ - سورة الحجرات: الآية/ ١٣، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٣٢)

٣ - رَوَاهُ مَالِكٌ - كِتَابُ الْإِسْتِثْنَانِ، بَابُ الْإِسْتِثْنَانِ، حَدِيث: ١٧٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب النكاح - باب استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث، حديث: ١٢٦٨٠

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، حديث: ٥٠٦٧، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث: ٣٨٦٠

٥ - رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث: ٤٣٦٠، بسند حسن لغيره

غَرَسُ عُلوِّ الْهِمَّةِ فِي نَفْسِهِمْ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ حَدَّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَكْهَا النَّخْلَةِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا.^١

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرغب ولده في إجابة النبي ﷺ ولا يسفه رأيه ولا يستصغر عقله شحذاً لعزيمته وإعلاء لاهمته، بخلاف من يقول لولده اسكت فأنت لا تفهم ولا تتكلم فأنت لا تدري فتخمد جذوة النبوغ في نفسه وينطفئ نور الذكاء في عقله، وكلما أراد الإقدام على أمر له فيه خير تذكر كلام أبيه فأحجم فيظل صغير وقد بلغ من السن عتياً، منزوياً لا يشارك في عظيم أو حقر، هيباً لا يعرف للإقدام سبيلاً، جبناً لا تعرف الشجاعة إلى قلبه طريقاً.

ذكر ابن سعد عن المدائني قال: نظر أبو سفيان رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه وهو غلام، فقال: إِنَّ ابْنِي هَذَا لِعَظِيمِ الرَّأْسِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ أَنْ يَسُودَ قَوْمُهُ. فقالت هند: قَوْمُهُ فَقَطْ؟ ثكلته إِنَّ لَمْ يَسُدَّ الْعَرَبَ قَاطِبَةً.^٢

المساواة بينهم في المعاملة والعدل في الأعطيات:

عَنْ خُصَيْنٍ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ التُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَنِي أَنْ أُشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ».^٣

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، حديث: ٦١، ومُسْلِمٌ - كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن

مثل النخلة، حديث: ٥١٣٤

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة (١٥٣ / ٦)

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة، حديث: ٢٤٦٨، ومُسْلِمٌ - كتاب الهبات، باب

كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث: ٣١٤١

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتَقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ فَمَا تُقْبِلُهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^٢.

وقال الزبير بن بكار في كتاب النسب حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب أن العوام لما مات كان نوفل بن خويلد يلي ابن أخيه الزبير وكانت صفية رضي الله عنها تضربه وهو صغير وتغلظ عليه فعاتبها نوفل وقال ما هكذا يضرب الولد إنك لتضربينه ضرب مبغضة فرجرت به صفية ...

من قال إني أبغضه فقد كذب *** وإنما أضربه لكي يلب *** ويهزم الجيش ويأتي بالسلب

١ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، حديث: ٥٦٥٩

٢ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، حديث: ٥٦٥٨

الآثار المترتبة على تخلي الآباء عن مسئوليتهم في تربية الأولاد

الآثار المترتبة على تخلي الآباء عن مسئوليتهم في تربية أولادهم كثيرة جداً أذكر منها اثنين هما:

حرمان الجنة:

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». ^١

قال القرطبي رحمه الله: هو لفظ عام في كلِّ مَنْ كُلفَ حِفْظَ غَيْرِهِ؛ كما قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فالإمام الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته». وهكذا الرجل في أهل بيته، والولد والعبد.

والرعاية: الحِفْظُ والصيانة، والغِشُّ: ضِدُّ النصيحة. ^٢

عقوق الأبناء:

أتى رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ولده فأحضر أمير المؤمنين الغلام وأنبه، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما حقه على أبيه؟ قال: أَنْ يَنْتَقِيَ أُمَّهُ، وَيُحَسِّنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ. قال الغلام: يا أمير المؤمنين، إِنَّ أَبِي لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، استولدني من أمة زنجية كانت لمجوسية، وقد سماني جُعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى الرجل وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ولدك وقد عَقَقْتَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْقَكَ، وَأَسَأْتَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُسِيءَ إِلَيْكَ!

١ - رواه البخاري - كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، حديث: ٦٧٥١، ومُسْلِمٌ - كتاب الإيمان، باب استحقاق

الوالي الغاش لرعيته النار، حديث: ٢٢٩

٢ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١١٨)

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ أَخْلَنِي: أَبِي نُحْلًا، غُلَامًا لَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ: أُمِّي عَمْرَةٌ بِنْتُ رَوَاحَةَ ابْنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَشْهَدُهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَشْهَدُهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلًا وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَتْنِي أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ: «أَلَاكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكُلُّهُمْ أُعْطِيَتْ مِثْلَ مَا أُعْطِيَتْ النُّعْمَانُ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: فَقَالَ: بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ، «هَذَا جَوْرٌ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «هَذَا تَلَجُّمٌ فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي» قَالَ مُغِيرَةُ: فِي حَدِيثِهِ «أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ سَوَاءٌ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي» وَذَكَرَ مُجَالِدٌ فِي حَدِيثِهِ «إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَبْرُوكَ»^١.

١ - رواه البخاري - كِتَابُ الْهَيْبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّخْرِيسِ عَلَيْهَا، بَابُ الْهَيْبَةِ لِلْوَلَدِ، وَإِذَا أُعْطِيَ بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ، حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الْآخَرِينَ مِثْلَهُ، وَلَا يُشْهَدُ عَلَيْهِ حَدِيث: ٢٥٨٦، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْهَيْبَاتِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهَيْبَةِ، حَدِيث: ١٦٢٣، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْبَيُوعِ، بَابُ فِي الرَّجُلِ يُفْضَلُ بَعْضُ وَلَدِهِ فِي النُّحْلِ، حَدِيث: ٣٥٤٢، وَاللَّفْظُ لَهُ

من أسباب النجاة

(وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)

من أسباب النجاة التوبة النصوح لله تعالى.

تعريف التوبة:

التَّوْبَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ الرُّجُوعُ.

والتَّوْبَةُ فِي الشَّرْعِ هِيَ النَّدَمُ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي الْحَاضِرِ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ فَعْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَاطَمُهُ ذَنْبٌ:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^١.

فضل التوبة:

التَّوْبَةُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ وَدِيدَهُمْ:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^٣.

١ - سورة الزمر: الآية/ ٥٣

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣٥

٣ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، حديث: ٥٠٤٣

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^١.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةً مَرَّةً»^٣.

وَعَنِ الْأَعْرَابِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً»^٤.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةً مَرَّةً: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^٥.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَنْزِلُ التَّوْبَةِ أَوَّلُ الْمَنَازِلِ وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا فَلَا يَفَارِقُهُ الْعَبْدُ السَّالِكُ وَلَا يَزَالُ فِيهِ إِلَى الْمَمَاتِ وَإِنْ ارْتَحَلَ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ ارْتَحَلَ بِهِ وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ وَنَزَلَ بِهِ فَالتَّوْبَةُ هِيَ بَدَايَةُ الْعَبْدِ وَنَهَايَتُهُ وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ كَمَا أَنَّ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا فِي الْبَدَايَةِ كَذَلِكَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ مَدِينَةِ خَاطَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَهَجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ ثُمَّ عُلِقَ الْفَلَاحُ بِالتَّوْبَةِ تَعْلِيْقًا

١ - رواه أحمد - حديث: ١٢٨٢٠، والترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث: ٢٤٨٣، بسند حسن

٢ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم واللييلة، حديث: ٥٩٥٧

٣ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث: ٤٩٧٨

٤ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث: ٤٩٧٧

٥ - رواه أحمد - حديث: ٤٥٨٧، والترمذي - أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، حديث:

٣٤٣٩ وابن ماجه - كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث: ٣٨١٢، بسند صحيح

المسبب بسببه وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.^١

الله عز وجل يحب التوبة ويحب التوابين:

من عظيم فضل التوبة، أنها توصل العبد إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها بشر من البشر، بل ويسمو إليها الخلق كلهم، ألا وهي تحقيق محبة الله تعالى، فإذا أذنب العبد ذنباً ثم تاب منه صادقاً، وأسرع إلى الله تعالى مقبلاً، وفر من ذنبه إلى الله تعالى خائفاً، قبل الله تعالى توبته، وأسبغ عليه من رحمته، وشمله بعفوه ومغفرته، وأحبه لتوبته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.^٢

يجعل الله للتائب رصيلاً من الحسنات بقدر ما كان عنده من سيئات:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.^٣

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: اغْرَضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَنِيَّةٍ حَسَنَةٍ، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.^٤

١ - مدارج السالكين (١/ ١٧)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٢

٣ - سورة الفرقان: الآيات/ ٦٨- ٧٠

٤ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، حديث: ٣١٤

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ عَبْسَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدْعُمُ عَلَى عَصَا لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي غَدْرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ قَالَ: «أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدْرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ»^١.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُكَ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهِنَّ»، قَالَ: وَغَدْرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى^٢.

التوبة من أعظم أسباب المغفرة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾^٣.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٤.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ الذَّنْبَ ثُمَّ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ^٥.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٩٤٣٢

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ٧٢٣٥

٣ - سورة الزمر: الآية/ ٥٣، ٥٤

٤ - سورة التحريم: الآية/ ٨

٥ - رواه الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير، تفسير سورة التحريم، حديث: ٣٧٦٥، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب

شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣٨، بسند صحيح

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قَالَ: يَتَوْبُ مِنَ الذَّنْبِ ثُمَّ لَا يَعُودُ.^١

وقال الشعبي: التائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.^٢

اللَّهُ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ الْمُؤْمِنِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هِيَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».^٣

النَّدَمُ تَوْبَةٌ:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ».^٤

التَّوْبَةُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا:

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.^٥

١ - رواه البيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣٩، بسند صحيح

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٢، وانظر شرح السنة للإمام البغوي (٥ / ٨١)

٣ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب في الخوض على التوبة والفرح بها، حديث: ٥٠٣٩

٤ - رواه أحمد - حديث: ٣٨٨٨، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث: ٤٢٥٠، وابن حبان - كتاب الرقائق، باب التوبة، حديث: ٦١٣، والحاكم - كتاب التوبة والإنابة، حديث: ٧٦٧٩، والبيهقي - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف،

حديث: ١٩١٣١، بسند صحيح

٥ - سورة مريم: الآية/ ٥٩، ٦٠

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^١.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَكَّةَ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿مُهَانًا﴾ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ وَمَا يُغْنِي عَنَّا الْإِسْلَامَ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامَ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ^٢.

التَّوْبَةُ صَقْلٌ لِلْقَلْبِ وَتَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سُودَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَغْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّيْئُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ ﴿كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^٣.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي

١ - سورة الفرقان: الآيات / ٦٨ - ٧٠

٢ - رواه مسلم - كتاب التفسير، حديث: ٥٤٦٧

٣ - رواه أحمد - حديث: ٧٧٦٨، والترمذي - أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، حديث: ٣٣٣٨، والنسائي -

سورة المطففين، قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ حديث: ١١٢١٢، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر

الذنوب، حديث: ٤٢٤٢، بسند صحيح

ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى:
لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اَعْمَلْ مَا شِئْتَ».^١

شُرُوطُ التَّوْبَةِ:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وشرائط التوبة ثلاثة الندم، والإقلاع، والاعتذار، فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.^٢

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: للتوبة ثلاثة شروط:

- أن يقلع عن المعصية.
 - وأن يندم على فعلها.
 - وأن يعزم عزمًا جازمًا ألا يعود إلى مثلها أبدًا.
- فان كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع.
- وهو رد الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه.
- والتوبة أهم قواعد الإسلام، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة.^٣

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، حديث: ٧٥٠٧، ومسلم- كتاب التوبة،

باب قبول التوبة من الذنوب، حديث: ٢٧٥٨

٢ - مدارج السالكين (١/ ١٨٢)

٣ - شرح النووي على مسلم (٢٥ / ١٧)

(وسائلُ الثباتِ على التوبة)

الأولى: المبادرة بالتوبة:

من وسائل الثبات على التوبة، المبادرة بالتوبة وعدم التسويف، فإن التسويف من أسباب طمع الشيطان في ابن آدم وجرأته عليه، فإذا رأى منه استهانة بالتوبة والمبادرة إليها، سلك إليه كل سبيل لصدّه عنها، ومنعه منها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١.
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٢.
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^٣.
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الدَّجَالَ أَوْ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»^٤.
 قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ خَيْرًا، فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالذَّلِّ وَالْانْكَسَارِ وَالْإِفْتِقَارِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَدَوَامَ التَّضَرُّعِ وَالِدُعَاءِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكَنَ مِنَ الْحَسَنَاتِ^٥.

الثانية: الإقلاع عن الذنب:

فإن التوبة مع الإقامة على الذنب نوع من الإستهزاء لا يتصور من عاقل.

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٣٣

٢ - سورة الحديد: الآية / ٢٢

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث: ١٩٤

٤ - رواه مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث: ٥٣٥٢

٥ - الوابل الصيب (١ / ١١)

الثالثة: الندم على المعصية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مُقَرِّنٍ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»؟ قَالَ: نَعَمْ.^١

الرابعة: العزم على عدم الرجوع للذنوب:

وذلك بقطع العلائق التي بينه وبين ما يقربه من المعصية؛ حتى لا يقع فيها مرة أخرى، وسواء أكانت هذه العلائق أصحاب سوء، أو رسائل أو صور أو أرقام هواتف، أو آلات طرب ولهو، أو غيرها من وسائل المعاصي، ويعلم أن هذا الذي يؤرّه إلى المعصية أزا، ويدفعه إليها دفعاً، ويرغبه فيه، سيكون من أشد الناس له عداوة يوم القيامة، ويتبرأ منه، بل ويتلاعنان كما قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾.^٣

ويستحب له كذلك أن يغير من هيئته التي كان عليها قبل التوبة مثل قص الشعر إن كان موفراً وتبديل الثياب إن كانت له ثياب يشتهر بها؛ ودل على ذلك ما رواه عَثِيمُ بْنُ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ قَدْ أَسْلَمْتُ فَقَالَ: «أَلْقِ عَنْكَ شَعَرَ الْكُفْرِ» يَقُولُ أَحَلِّقْ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِآخَرَ: «أَلْقِ عَنْكَ شَعَرَ الْكُفْرِ وَاحْتَتِنْ».^٤

١ - رواه أحمد - حديث: ٣٤٦٢، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث: ٤٢٥٠، والحاكم - كتاب التوبة والإنابة،

حديث: ٧٦٨٠، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣١، بسند صحيح

٢ - سورة الزخرف: الآية/ ٦٧

٣ - سورة العنكبوت: الآية/ ٢٥

٤ - رواه أحمد - حديث: ١٥١٦٠، وأبو داود - كتاب الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل - حديث: ٣٠٥، والطبراني في

الكبير، حديث: ١٨٨٠١، والبيهقي في السنن - كتاب الطهارة، جماع أبواب ما يوجب الغسل، باب الكافر يسلم فيغتسل، حديث:

٧٦٥، بسند حسن

فَقَدْ قَالَ الْعَالِمُ لِمَنْ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ: «وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ».^١

عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، فَقَالَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ، ثُمَّ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا.^٢

الخامسة: ملازمة أهل الطاعة:

البحث عن رفقة صالحة تعينه على طاعة الله تعالى، وتتعهده إذا اعتراه الفتور، أو أصابه الملل، حتى لا يرجع للمعاصي مرة أخرى من أعظم أسباب الثبات على التوبة، والمداومة على الطاعة، ولكن يجب أن يتوفر في هذه الرفقة أمران الأول سلامة الاعتقاد، والبعد عن البدع، والسييل إلى معرفة ذلك بقياس ما هم عليه من أقوال وأفعال وأحوال على ما كان عليه سلف هذه الأمة.

وهذا ما أرشد إليه العالمُ قاتلَ المئةِ نفسٍ لما أراد التوبة قال له: «انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذًا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ مَعَهُمْ».^٣

السادسة: محاسبة النفس:

من تمام التوبة المداومة على محاسبة النفس على كل حركة وسكنة، والوقوف لها بالمرصاد حتى لا ترجع إلى المعصية مرة أخرى.

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ).^٤

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣٠١، ومسلم كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: ٥٠٧٤

٢ - مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث: ٣٣٨٢٣

٣ - تقدم ترجمته

٤ - رواه الترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حديث: ٢٤٤١، بسند ضعيف، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث: ٣٣٧٩١، وابن المبارك في الزهد - باب الهرب من الخطايا والذنوب، حديث: ٣٠٧، وأحمد بن حنبل في الزهد - زهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث: ٦٣٩

قال الفضيلُ بنُ عياضٍ لرجلٍ: (كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال فأنت منذ ستين سنة تسيرُ إلى ربِّك يُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيلُ: أتعرف تفسيرَه تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن عَلِمَ أَنَّهُ لله عبد، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ راجع، فليعلم أَنَّهُ موقوفٌ، ومن علم أَنَّهُ موقوف، فليعلم أَنَّهُ مسؤول، ومن عَلِمَ أَنَّهُ مسؤولٌ، فليَعِدَّ للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تُحَسِّنُ فيما بقي يُغْفَرُ لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي، أُخِذْتَ بما مضى وبما بقي).

السابعة: إشغال النفس بما فيه نفعها:

من أسباب الثبات على التوبة أن يشغل العبد نفسه بشيء من طاعة الله تعالى مثل: أن يجعل لنفسه ورداً ثابتاً من كتاب الله حفظاً وتلاوةً وقراءةً تفسيراً، وحفظ أحاديث النبي ﷺ والمداومة على طلب العلم، فإن نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١.

أي لا تنسوا ذكر الله تعالى: فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل.^٢

١ - سورة الحشر: الآية / ١٩

٢ - تفسير ابن كثير (٨ / ٧٧)

عَوَائِقُ التَّوْبَةِ

التَّسْوِيفُ:

مِنْ أخطر مُعَوِّقَاتِ التَّوْبَةِ التَّسْوِيفُ وعدم المبادَرةِ بالتَّوْبَةِ وذلك يجعل العبد بين حَظَرَيْنِ عَظِيمَيْنِ الأول: تَرَكَمُ الرَانَ عَلَى الْقَلْبِ حتى يسود ويؤول أمره إلى الموت موت القلب فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فتتمكن المعصية من قلبه تمكناً لا يستطيع معه الإقلاع عن الذنب، فيفعل الذنب لا بدافع الشهوة، ولكن لأنه أصبح له عادةً، وهذه أخطر حالة يمكن أن يصل إليها العبد؛ لأنه يتعذر عليه الرجوع عن الذنب والحالة هكذا.

فَعَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرَضَ الْخَصِيرِ فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِرَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَبْشَرَ بِهَا نُكِرَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرَبَّدٌ كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا وَأَمَالَ كَفَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»^١.

مداهمة المرض:

ثَانِيهِمَا: أَنْ يبادره المرض فيضعضع بنيانه، ويزلزل أركانه ويوهن قواه، ويكون تركه للذنب عَجْزًا عن ممارسته، وربما ظل يشتهي به بقلبه، ويتحسر على فوته، ويتلذذ بما سلف من مزاولته، فيأثم بنيته، ويؤاخذ على سوء طويته، فيجتمع له نوعان من العذاب، عذاب دنيوي، وهو الحرمان من مواقع الذنب، وعذاب أخروي بسبب الحرص على فعله مع العجز.

وقد قال العلماء: ما مِثَالُ الْمُسَوِّفِ بِالتَّوْبَةِ إِلَّا مِثَالُ مَنْ احتاج إلى قلع شجرة فرآها قَوِيَّةً لَا تنقلع إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ فَقَالَ: أَوْأَخَّرَهَا سَنَةً ثُمَّ أَعُوذُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَرَةَ كُلَّمَا بَقِيَتْ زِدَادَتْ قُوَّةً لِرُسُوخِهَا وَثَبَاتِهَا وَكُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ زِدَادَ ضَعْفِهِ لَكِبَرِ سَنَةِ فَإِذَا عَجَزَ عَنْ قَلْعِهَا مَعَ قُوَّتِهِ وَضَعْفِهَا فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَيْهَا مَعَ قُوَّتِهَا وَضَعْفِهِ.

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، حديث: ٢٣٣

ترك التوبة مخافة الرجوع للذنوب مرة أخرى، وهذه شبهة يقع فيها كثير من الناس، فكثير من الناس يخاف من التوبة لاحتمال رجوعه إلى الذنب مرة أخرى، فنقول لمثل هذا: ليس من مقصود الشرع أن يكون الناس كالملائكة لا يعصون الله طرفة عين، لأن هذا تكليف بما ليس في المقدور، وهذه ليست دعوة للإسراف على النفس بالذنوب والمعاصي، بل نقول يجب على العبد البعد عن الذنب والانتهاز عن المعاصي، فإذا زل لكونه بشراً ولكونه ليس معصوماً فليبادر بالتوبة إلى الله تعالى والندم على ما بدر منه والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العود، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاعْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاعْفِرْهُ فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ آخَرَ فَاعْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^١.

وربما أتت المنية وهو مازال يسوف التوبة، ويعني النفس بطول العمر، ويأمل آمالاً لو امتد حبلها لبلغت من السنين المئتين أو الآلاف.

وممن يعتبر بحاله، ويتعظ المرء بمآله أَبُو بَصِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعَشَى بَنُو قَيْسٍ الشَّاعِرَ الْمَشْهُورَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: خَرَجَ أَعَشَى بَنُو قَيْسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ، فَقَالَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ:

وَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ	*****	وَلَا مِنْ حَقِّي حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدًا
مَتَى مَا تُنَاقِحِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ	*****	تُرَاجِحِي وَتُلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى
نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ	*****	أَغَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدَا
لَهُ صَدَقَاتُ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ	*****	فَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا
أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ	*****	نَبِيِّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

١ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، حديث: ٧٠٩١، ومسلم - كتاب التوبة،

باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث: ٥٠٦٠.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِرَادٍ مِنَ الثُّقَى	*****	وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ	*****	فَتُرْصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرُبَنَّهَا	*****	وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمَا حديدَا لِنَقْصِدَا
وَذَا النُّصَبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّهُ	*****	وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا
وَلَا تَقْرِبَنَّ جَارَةَ كَانَ سِرُّهَا	*****	عَلَيْكَ حَرَامًا فَانْكِحَنَّ أَوْ تَأْبَدَا
وَذَا الرَّجْمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعَنَّه	*****	لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرِ الْمُقَيَّدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيِّ وَالضُّحَى	*****	وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا
وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ	*****	وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُحْلَدَا

فَلَمَّا كَانَ بِمَكَّةَ - أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا - اعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاءَ يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُسْلِمَ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّهُ يُحَرِّمُ الزَّيْنَةَ. فَقَالَ: الْأَعَشَى وَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَأَمْرٌ مَا لِي فِيهِ مِنْ أَرْبٍ. فَقَالَ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّهُ يُحَرِّمُ الْحُمْرَ.

فَقَالَ الْأَعَشَى:

أَمَّا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنْ فِي نَفْسِي مِنْهَا الْعِلَالَاتُ وَلَكِنِّي مُنْصَرِفٌ فَأَتَرَوِي مِنْهَا عَامِي هَذَا، ثُمَّ آتَهُ فَأُسْلِمَ
فَانْصَرَفَ فَمَاتَ فِي عَامِهِ ذَلِكَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.^١

ترك التوبة خوفاً من لُز الناس.

فمن الناس من يظن أن الاستقامة ضعفاً، والتزام الجادة وهناً، والتقيد بأحكام الشرع سببه عدم القدرة على مواجهة المعصية، فيفعل الذنب حتى لا يساء به الظن بزعمه.

ترك التوبة مخافةً سقوط المنزلّة وذهاب الجاه والشهرة.

ومن ذلك ما وقع من أبي نواس الشاعر الماجن لما نصحه أبو العتاهية الشاعر الواعظ ولامه على تهتكه في المعاصي، فأنشد أبو نواس:

أُتْرَانِي يَا عَتَاهِي ***** تَارِكًا تِلْكَ الْمَلَاهِي
أُتْرَانِي مَفْسَدًا بِالنَّسْكِ ***** عِنْدَ الْقَوْمِ جَاهِي

التمادي في الذنوب اعتماداً على سعة رحمة الله.

فمن الناس من يصر على المعصية ويتمادي في الغي، ويسرف على نفسه فإذا عوتب أو زجر عما هو فيه قال: إن الله غفور رحيم على حد قول القائل:

وَكَثُرَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا ***** إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمٍ

ويستدل بقول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^١.

الاغترار بإمهال الله للمسيئين.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»^٢.

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

وهذا حال الكفار والفساق الذين لا يحبون اللوم على المعصية، ويستحلون الذنوب، فجمعوا إلى معصيتهم التي اقتترفوها معصية استحلال الذنب وهذا أقبح أثراً من الذنب، وأعظم خطراً على العبد.

١ - سورة الحجر: الآية/ ٤٩

٢ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾، حديث:

٤٤١٧، ومسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث: ٤٧٨٦

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^١.

مِنْ قِصَصِ التَّائِبِينَ

تَوْبَةُ مَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه:

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ «وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ» قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ» قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فِيمَ أَطَهَّرَكَ» فَقَالَ مِنَ الزَّيْنِ. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبِ جُنُونٍ» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَهَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَنْيْتَ» فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلِ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ وَقَائِلِ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»^١.

تَوْبَةُ الْغَامِديَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ جَاءَتِ الْغَامِديَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي. وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْعَدُو قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدُّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لِحَبْلَى. قَالَ: «إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي». فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. قَالَ: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ» فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةً خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلِ الطَّعَامَ. فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ: «مَهْلًا

١ - رواه مسلم - كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزني، حديث: ٣٢٩٣

يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ». ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.^١

تَوْبَةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «كَانَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ قَتَلَ مِائَةً نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاحْتَضَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» قَالَ فَتَادَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ.^٢

تَوْبَةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبِ اللَّهَ أَحَدًا حِينَ تَخَلَّفَ عَنْهَا إِلَّا مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا كَانَ مِنْ خَبْرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهَا رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا تِلْكَ الْغَزْوَةَ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةَ يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزُّنَى، حَدِيثٌ: ٣٢٩٤

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٣٠١، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ

وإن كثرت قتلته، حديث رقم: ٥٠٧٤

حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْعَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلَّى
لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً عَدُوَّهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُهُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ لَا
يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ الدِّيُونَ قَالَ كَعْبٌ : فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ
يَنْزِلْ فِيهِ وَحَى مِنَ اللَّهِ وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْعَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ التِّمَارُ وَالظَّلَالُ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِئَتْ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا وَأَقُولُ فِي نَفْسِي إِنِّي قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا
أَرَدْتُهُ فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَحَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ
جَهَازِي شَيْئًا فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَحْمُفُهُمْ فَعَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ
أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ عَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْعَزْوُ
وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْحَلَ فَأَذْكُرُهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَفْتُ فِيهِمْ أَخْزَنِي أَيْ لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوصًا مِنَ التِّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ
الضُّعْفَاءِ فَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ قَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتَبُوكُ : «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟» .
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِسْمَا
قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا إِلَّا خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي هَمِي وَطَفِئْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا
وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَ قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ
وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَخْرُجُ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ
مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا
يَعْنَدِرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضَعَةِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمْ وَيَكُلُّ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : «تَعَالَ» .
فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : «مَا خَلَّفَكَ أَمْ تَكُنْ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟» فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِغُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ
جَدَلًا وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثًا كَاذِبًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ
عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا

كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ قُمْ حَتَّى يَفْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» فَقُمْتُ وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ قَدْ كَانَ كَافٍ بِكَ ذَنْبَكَ اسْتَعْفَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكَ فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَيَّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأَكْذَبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَمَا قُلْتَ وَقِيلَ لهُمَا مِثْلَمَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمَرِيُّ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُوءَ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَهَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَنَّا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ وَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفِيعَتِي بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أَصَلَّى فَأَسَارِفُهُ النَّظَرُ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرُ إِلَى فَإِذَا التَّمْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أُنْشِدْكَ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحَبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ قَالَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَانَ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ فَالْحَقُّ بِنَا نُؤَاسِيكَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهِ التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَنَا أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أَطْلَقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ بِهَا؟ فَقَالَ: لَا بَلِ اعْتَزَلَهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَفْضِيَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ. قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَتْ لَهُ حَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ:

«لَا وَلَكِنْ لَا يَفْرَتَنَّكَ» قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَإِنَّهُ مَا زَالَ يَبْكِي مُذْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِي هَذَا فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ تَخْدُمُهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْ اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ هَمَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ الْفَرْجُ وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونِي وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَى فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ إِلَيَّ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوَجَّأَ فَوَجَّأً يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ لِهَنِيكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ وَلَا أَنْسَاهَا لَطْلَحَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ». قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بُشِّرَ بِبِشْرَةٍ يَبْرُقُ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ فَمَرَّ وَكَذَلِكَ يُعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أُخْلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بَخَّيَرْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا نَجَّيْتُ بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ فَوَ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ابْتِلَاةَ اللَّهِ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُذْ حَدَّثْتُ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا ابْتَلَانِي مَا تَعَمَّدْتُ مُذْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ

وَضُنُّوْا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٠﴾ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠١﴾ قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخْلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَخْلَفْنَا عَنِ الْعَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِنَّا نَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرُنَا مِمَّنْ حَلَفَ وَاعْتَذَرَ فَقَبِلَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ١

تَوْبَةُ أَبِي مُحَجَّنٍ ﷺ :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَتَى سَعْدٌ بِأَبِي مُحَجَّنٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْقَيْدِ، قَالَ: وَكَانَ بِسَعْدٍ جِرَاحَةٌ، فَلَمْ يُخْرِجْ يَوْمَئِذٍ إِلَى النَّاسِ، قَالَ: وَصَعِدُوا بِهِ فَوْقَ الْعُدِيِّ لِيَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ، قَالَ: وَاسْتَغْمَلَ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ، قَالَ أَبُو مُحَجَّنٍ:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرَدَى الْخَيْلُ بِالْقَنَا ***** وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

فَقَالَ لِابْنَةِ خَصَفَةَ، امْرَأَةِ سَعْدٍ: أَطْلِقِينِي وَلَكَ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ حَتَّى أَضَعَ رِجْلِي فِي الْقَيْدِ، وَإِنْ قُتِلْتُ اسْتَرْحِطُكُمْ، فَحَلَّتْهُ حِينَ التَقَى النَّاسُ، فَوُتِبَ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا: الْبُلْقَاءُ، ثُمَّ أَخَذَ رُمْحًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَّا هَزَمَهُمْ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَلَكٌ، لِمَا يَرُونَهُ يَصْنَعُ، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: الصَّبْرُ صَبْرُ الْبُلْقَاءِ، وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مُحَجَّنٍ، وَأَبُو مُحَجَّنٍ فِي الْقَيْدِ، فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ، رَجَعَ أَبُو مُحَجَّنٍ حَتَّى وَضَعَ رِجْلِيهِ فِي الْقَيْدِ، فَأُخْبِرَتْ بِنْتُ خَصَفَةَ سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَا أَضْرِبُ الْيَوْمَ رَجُلًا أَبْلَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْهِ مَا أَبْلَاهُمْ، قَالَ: فَحَلَّى

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، حديث: ٤١٦٥، ومسلم - كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب

بن مالك وصاحبيه، حديث: ٥٠٨٠

سَبِيلَهُ، فَقَالَ أَبُو مُحَجَّجٍ: قَدْ كُنْتُ أَشْرُهَا حَيْثُ كَانَ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ، فَأَظْهَرُ مِنْهَا، فَأَمَّا إِذْ بَهَرَجْتَنِي فَلَا وَاللَّهِ لَا أَشْرُهَا أَبَدًا.^١

تَوْبَةُ الْكِفْلِ:

عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَارٍ وَلَكِنْ قَدْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمَلَهُ فَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتْرَيْنِ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ أَكْرَهْتُكَ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ قَالَ فَتَفْعَلِينَ هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ قَالَ ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ اذْهَبِي فَالِدَّانِيزُ لَكَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا يَعْصِي اللَّهُ الْكِفْلُ أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكِفْلِ».^٢

تَوْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ شَابًّا كَثِيرَ الْمَجُونِ كَثِيرَ الشَّرَابِ، رَوَى بَعْضُ الْقُضَاةِ عَنْ بَعْضِ وَلَدِ الْقَعْنَبِيِّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: كَانَ أَبِي يَشْرَبُ النَّبِيذَ، وَيَصْحَبُ الْأَحْدَاثَ، فَدَعَاهُمْ يَوْمًا وَقَعَدَ عَلَى الْبَابِ يَنْتَظِرُهُمْ، فَمَرَّ شُعْبَةُ عَلَى حِمَارِهِ، وَالنَّاسُ خَلْفَهُ يُهْرَعُونَ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: شُعْبَةُ فَقَالَ: وَأَيْشِ شُعْبَةُ؟ قَالُوا: مُحَدِّثٌ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ إِزَارٌ أَحْمَرٌ، فَقَالَ: لَهُ حَدَّثَنِي. فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَأَحْدَثَكَ. فَأَشْهَرَ سِكِّينَهُ وَقَالَ لَهُ: حَدِّثْنِي أَوْ أَجْرُحُكَ. فَقَالَ لَهُ شُعْبَةُ: حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ عَنْ رَبِيعٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».^٣

١ - رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ - كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ كِرَاهِيَةِ إِقَامَةِ الْحُدُودِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ - حَدِيثٌ: ٢٣٢١، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ - كِتَابُ التَّأْرِيخِ، فِي أَمْرِ الْقَادِسِيَّةِ وَجُلُولَاءِ، حَدِيثٌ: ٣٣٠٨٤، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ - كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ مَنْ حَدَّثَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، حَدِيثٌ:

٢ - رَوَاهُ أَحْمَدُ - حَدِيثٌ: ٤٦٠٨، وَالتِّرْمِذِيُّ - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ حَدِيثٍ: ٢٤٨٠، وَأَبُو يَعْلَى - حَدِيثٌ: ٥٥٩٣، وَابْنُ حِبَانَ - كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الطَّاعَاتِ وَثَوَائِهَا، حَدِيثٌ: ٣٨٨، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ، حَدِيثٌ:

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ، حَدِيثٌ: ٣٣١٤

فرمي سَكِينُهُ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَامَ إِلَى جَمِيعِ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّرَابِ فَهَرَّاقَهُ وَقَالَ لَأُمِّهِ السَّاعَةَ أَصْحَابِي يَجِيُونَ فَأَدْخِلِيهِمْ وَقَدِّمِي الطَّعَامَ إِلَيْهِمْ فَإِذَا أَكَلُوا فَخَبِّرِيهِمْ بِمَا عَمِلْتُ بِالشَّرَابِ حَتَّى يَنْصَرَفُوا فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَزِمَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَأَكْثَرَ عَنْهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ مَاتَ شُعْبَةُ فَمَا سَمِعَ مِنْ شُعْبَةَ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ.^١

ولازم مالك بن أنس ثلاثين سنة يسمع منه ويتعلم، فأكثر السماع عنه حتى صار أثبت رواية الموطأ، قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: الْقَعْنِي أَحَبُّ إِلَيْكَ فِي "الموطأ" أو إسماعيل بن أبي أويس؟ قال: بل الْقَعْنِي، لم أر أخشع منه، ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فما سمع من شعبة غير هذا الحديث.^٢

تَوْبَةُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ:

عن الفضل بن موسى: كان الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ شَاطِطًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ بَيْنَ أَبِي يُوْرَدَ وَسَرْخَسَ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالِيًا يَتْلُو: ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.^٣

فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن، فرجع فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سائل، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.^٤

١ - معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ١٤٤)

٢ - سير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٥٩)

٣ - سورة الحديد: الآية / ١٦

٤ - تهذيب الكمال (٢٣ / ٢٨٦)، وتهذيب التهذيب (٨ / ٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٣)

تَوْبَةُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

قال أبو سلمة الغنوي: قلت لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟

قال: إذا والله أخبرك إني لما قلت:

الله يبيني وبين مولاتي ***** أهدت لي الصد والملايات
منحتها مهجتي وخالصتي ***** فكان هجرانها مكافأتي
هيمني حبها وصيري ***** أحدثتني في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كان آتياً أتاني فقال: ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة، يحكم لك

عليها بالمعصية إلا الله تعالى، فانتبهت مذعوراً، وتبت إلى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل.^١

أثر ترك التوبة

تارك التوبة ظالم لنفسه، لأنه منعها مما فطرها الله تعالى عليه من الرجوع له والإنابة إليه، وهو ظالم لها كذلك لأنه حملها على لذة عاجلة ربما حرمتها اللذة الدائمة في الدنيا، وأوجبت لها عذاباً دائماً في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^١.

اللهم إنا نسألك التوفيق لتوبة نصوح تغفر لنا بها ما تقدم من ذنوبنا، وتستتر بها ما بدا من عيوبنا، وترضى بها عنا، فإنك أكرم مسئول، وخير مأمول.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.

المحتويات

المقدمة	٢
مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ	٣
ترجمة عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ <small>رضي الله عنه</small> :	٣
(حِفْظُ اللِّسَانِ)	٥
حفظ اللسان من أعظم أسباب النجاة:	٧
حِفْظُ اللِّسَانِ وصية النبي <small>ﷺ</small> لأصحابه:	٨
صاحب اللسان البذيء من أبغض الناس لقلب النبي <small>ﷺ</small> ومن أبغضهم عن مجلسه:	٩
استقامة اللسان استقامة للجوارح:	١٠
اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة:	١٢
اللسان سبب حبوط الأعمال:	١٢
اللسان من أعظم أسباب دخول النار:	١٣
جناية اللسان على صاحبه:	١٤
(الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ)	١٩
الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ من أعظم مقاصد الشَّيْطَانِ:	١٩
الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ أعظم المحرمات على الإطلاق:	٢٠
من قال عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لا يفلح أبداً:	٢١
من قال عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فلا أظلم منه:	٢١
صَوْرُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ	٢٣
مِنْ صَوْرِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ (الْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ):	٢٣
أَثَرُ الْإِفْتَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ:	٢٤
مِنْ صَوْرِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (تحريف كلام الله تعالى):	٢٥
الأول: نسبة كلامٍ لم يقله الله تعالى إليه:	٢٦

- الثاني: لِيُ اللسانِ بالكلام لإيهام السامع أنه كلام الله وهو ليس من كلام الله تعالى: ٢٦
- الثالث تأويل كلام الله تعالى وصرفه عن حقيقته بغير دليل: ٢٦
- مِنْ صَوْرُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (تفسير القرآن بالرأي والهوى): ٢٦
- مِنْ صَوْرُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (ادعاء النبوة): ٢٩
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٣٠
- (الْكَذِبُ): ٣١
- حَدُّ الْكَذِبِ: ٣١
- أَنْوَاعُ الْكَذِبِ: ٣١
- الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى: ٣١
- الْكَذِبُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ٣١
- الْكَذِبُ عَلَى النَّاسِ: ٣٢
- أَثَرُ الْكَذِبِ: ٣٢
- الْكَذِبُ سَبَبُ مَحْقِ الْبَرَكَةِ: ٣٢
- الْكَذِبُ رِيْبَةٌ: ٣٣
- الْكَذِبُ مُسْتَقْبَحٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ: ٣٣
- الْكَذِبُ قَرِينُ الْفُجُورِ: ٣٤
- تَرْكُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ: ٣٤
- الْكَذَابُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْهُدَايَةِ: ٣٥
- الْكَذِبُ عِلَامَةٌ مِنْ عِلَالِمَاتِ النِّفَاقِ: ٣٦
- النِّفَاقُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْكَذِبِ: ٣٦
- الْكَذِبُ يَنْفِي الْإِيمَانَ: ٣٧
- الْكَذِبُ أَقْرَبُ طَرِيقٍ إِلَى النَّارِ: ٣٧
- تَعُمُّدُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْبَرَزَخِ: ٣٧

- ما يُرَخَّصُ فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ: ٣٩
- الْمَعَارِضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ: ٤١
- حُكْمُ التَّعْرِيزِ فِي الْكَلَامِ: ٤٢
- أَمْثَلُهُ عَلَى التَّعْرِيزِ: ٤٢
- خَطَرُ الاسْتِهَانَةِ بِالْكَذِبِ: ٤٣
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٤٥
- (الْغِيْبَةُ) ٤٦
- حد الغيبة: ٤٦
- حُكْمُ الْغِيْبَةِ: ٤٧
- الْغِيْبَةُ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ: ٤٧
- الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ رَائِحَتُهُمْ كَرَائِحَةُ الْجِيْفَةِ الْمُنْتِنَةِ: ٤٨
- الْغِيْبَةُ تُخْبِطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ: ٤٩
- الْكَلِمَةُ مِنَ الْغِيْبَةِ لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَغَيَّرَتْهُ: ٤٩
- الْغِيْبَةُ أَرْبَا الرِّبَا: ٥٠
- دَمُ السَّلَفِ لِلْغِيْبَةِ وَمَنْ يَقَعُ فِيهَا: ٥٠
- أَجْرُ مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الْغِيْبَةِ: ٥١
- مِنْ صُورِ الْغِيْبَةِ: ٥١
- الحالات التي تجوز فيها الغيبة: ٥٢
- الأولى التَّظَلُّمُ: ٥٢
- الثانية الاستِفْتَاءُ: ٥٣
- الثالثة التَّحْذِيرُ: ٥٣
- الرابعة المجاهرةُ بالفسق: ٥٣
- الخامسةُ التَّعْرِيفُ: ٥٤

- السادسة طَلَبُ الْإِعَانَةِ عَلَى إِزَالَةِ مُنْكَرٍ: ٥٤
- الغيبة تدل على نقص في المعتاب وقلة مروءته: ٥٥
- مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٥٦
- (النَّمِيمَةُ) ٥٦
- تعريفُ النَّمِيمَةِ: ٥٦
- خَطَرُ النَّمِيمَةِ: ٥٧
- النمام لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: ٥٧
- النَّمَامُ شَرُّ النَّاسِ: ٥٧
- النَّمِيمَةُ تعملُ عملَ السَّحَرِ بَلْ أَشَدُّ: ٥٧
- النمامُ كذابٌ مفترٍ: ٥٩
- النَّمِيمَةُ كبيرةٌ من الكبائرِ وسببٌ من أسبابِ عذابِ القبرِ: ٦١
- بالنميمة تسفك الدماء: ٦١
- النَّمِيمَةُ تورث الضغائن والأحقاد: ٦٢
- بِمَ تَكُونُ النَّمِيمَةُ؟ ٦٥
- مَا يَجِبُ عَلَى مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ: ٦٥
- مَتَى يَجُوزُ نَقْلُ الْكَلَامِ؟ ٦٥
- قَالُوا عَنِ النَّمِيمَةِ: ٦٦
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٦٦
- (شَهَادَةُ الزُّورِ) ٦٧
- مَعْنَى الزُّورِ: ٦٧
- تحريم كتمان الشهادة ووجوب أدائها: ٦٧
- أَنْبَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ شَهَادَةِ الزُّورِ: ٦٨
- انتِشَارُ شَهَادَةِ الزُّورِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: ٦٨

- شَهَادَةُ الزُّورِ تُخْبِطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ: ٦٩
- شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ: ٧٠
- شَهَادَةُ الزُّورِ تَعْدِلُ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ: ٧٠
- شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ مُوجِبَاتِ النَّارِ: ٧٠
- شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَسْبَابِ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى: ٧٠
- مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ مِنَ الْجَرَائِمِ: ٧١
- حُكْمُ الْحَاكِمِ لَا يَحِلُّ حَرَامًا وَلَا يَحْرِمُ حَلَالًا: ٧١
- عُقُوبَةُ شَاهِدِ الزُّورِ: ٧٢
- مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٧٣
- (التَّأَلَّى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) ٧٣
- حُدُّ الْإِيلَاءِ: ٧٣
- أَنْوَاعُ التَّأَلَّى: ٧٤
- التَّأَلَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ الْمَعْرُوفَ: ٧٤
- الْإِيلَاءُ مِنَ النِّسَاءِ: ٧٦
- مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ: ٧٧
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٧٧
- (التَّرْتَرَةُ) ٧٨
- حُدُّ التَّرْتَرَةِ: ٧٨
- التَّرْتَارُونَ أَبْغَضُ النَّاسِ لِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبْعَدِهِمْ مِنْ مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٧٨
- التَّرْتَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ: ٧٩
- التَّرْتَرَةُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: ٧٩
- التَّرْتَرَةُ دَلِيلُ سُوءِ الْخُلُقِ: ٨٠
- التَّرْتَارُونَ شِرَارُ النَّاسِ: ٨١

- الْتَرْتَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٨١
- الْتَرْتَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ: ٨٢
- اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْتَرْتَرَةَ: ٨٣
- فَضْلُ الصَّمْتِ وَمَنْزِلَتُهُ ٨٦
- فِي الصَّمْتِ نَجَاةٌ: ٨٦
- الصَّمْتُ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ: ٨٦
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ٩٢
- (قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ) ٩٣
- حُدُّ الْقَذْفِ: ٩٣
- أَنْوَاعُ الْقَذْفِ: ٩٤
- الْقَذْفُ نَوْعَانِ: ٩٤
- حُكْمُ التَّصْرِيحِ بِالْقَذْفِ ٩٤
- حُكْمُ التَّعْرِيزِ بِالزَّنَا فِي الْقَذْفِ: ٩٤
- حُكْمُ قَذْفِ الْمَمْلُوكِ وَالْخَدَمِ: ٩٦
- حُكْمُ التَّائِبِ بَعْدَ الْقَذْفِ: ٩٦
- قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُبَيَّنَاتِ: ٩٧
- قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ مُحَرَّمٌ فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ: ٩٧
- قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ: ٩٨
- قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ أَقْبَحُ مِنَ الرِّبَا وَمِنَ الرِّبَا: ٩٩
- قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ يُوجِبُ الطَّرْدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ: ٩٩
- قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ يَصِلُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ تَعَالَى: ٩٩
- مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ١٠٠
- (الْيَمِينُ الْعُمُوسُ) ١٠٠

- وجوب حفظ اليمين: ١٠٠
- اليمين ثلاثه أقسام: ١٠٠
- الأول اليمين اللغو: ١٠٠
- والثاني اليمين المنعقدة: ١٠١
- والثالث اليمين الغموس: ١٠١
- كراهية كثرة الحلف: ١٠٢
- اليمين الغموس سبب القفر: ١٠٣
- اليمين الغموس سبب العثم: ١٠٣
- اليمين الغموس سبب ظلمة القلب: ١٠٣
- اليمين الغموس لا كفارة لها: ١٠٣
- اليمين الغموس إحدى الكبائر: ١٠٤
- اليمين الغموس سبب إعراض الله تعالى عن العبد يوم القيامة: ١٠٤
- اليمين الغموس سبب حرمان الجنة: ١٠٥
- اليمين الغموس سبب سخط الله تعالى على العبد: ١٠٥
- من آفات اللسان ١٠٧
- (السب واللعن) ١٠٧
- لا يكون اللعان شفعاء ولا شهداء يوم القيامة: ١٠٧
- سباب المسلم فسوق: ١٠٧
- لعن المؤمن كقتله: ١٠٨
- من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والدية: ١٠٩
- المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان: ١١٠
- المستبان ما قالاً فعلى البادي منهما: ١١٠
- اللعن لا يذهب سدى: ١١١

- حُكْمُ سَبِّ الدَّهْرِ: ١١١
- حُكْمُ سَبِّ الرِّيحِ: ١١١
- حُكْمُ لَعْنِ الْحَيَوَانِ: ١١٢
- حُكْمُ لَعْنِ الْمُعِينِ: ١١٤
- لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ ظَالِمًا: ١١٥
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ١١٥
- (مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ) ١١٦
- الفرق بين الحمد والمدح: ١١٦
- الفرق بين الإطراء والمدح: ١١٧
- حكم المدح في الشرع: ١١٧
- تعريف الإطراء: ١١٩
- حكم الإطراء: ١١٩
- مثال الإطراء في حق النبي ﷺ: ١١٩
- خطر مُجَاوِزَةِ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ: ١٢٠
- المدْحُ بِالْبَاطِلِ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ: ١٢٠
- الإِطْرَاءُ فِيهِ تَشَبُّهُ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: ١٢٠
- الإِطْرَاءُ فِيهِ هَلَاكٌ لِلْمَادِحِ وَالْمَمْدُوحِ: ١٢١
- مَا هُوَ وَاجِبُنَا نَحْوَ الْمَدَّاحِينَ: ١٢٢
- الآفَاتُ الْمَتْرَبَةُ عَلَى الْمَدْحِ: ١٢٤
- مَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْكَ إِذَا احْتَجْتَ أَنْ تَمْدَحَ إِنْسَانًا؟ ١٢٧
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ١٢٧
- (الْجِدَالُ) ١٢٨
- تَعْرِيفُ الْجِدَالِ: ١٢٨

- حُكْمُ الْجِدَالِ: ١٢٨
- أَنْوَاعُ الْجِدَالِ: ١٢٩
- الْجِدَالُ نَوْعَانِ: ١٢٩
- الأول: جِدَالٌ مَمْدُوحٌ: ١٢٩
- الثاني: الْجِدَالُ الْمَذْمُومُ: ١٣٠
- أَفْسَاؤُ الْجِدَالِ الْمَذْمُومِ: ١٣٠
- الْجِدَالُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ: ١٣٠
- الْجِدَالُ فِي الْقُرْآنِ: ١٣١
- الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ لِدَخْصِ الْحَقِّ: ١٣٢
- الْجِدَالُ بِغَيْرِ عِلْمٍ: ١٣٣
- الْجِدَالُ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ: ١٣٤
- فَضْلُ تَرْكِ الْجِدَالِ: ١٣٤
- تَرْكُ الْجِدَالِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ: ١٣٤
- تَرْكُ الْجِدَالِ عِلَامَةٌ حُسْنِ الْخُلُقِ: ١٣٥
- خَطَرُ الْجِدَالِ عَلَى صَاحِبِهِ: ١٣٦
- الْجِدَالُ عِلَامَةٌ عَلَى الضَّلَالِ: ١٣٦
- الْجِدَالُ مَعْصِيَةٌ: ١٣٦
- الْجِدَالُ يُورِثُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ: ١٣٧
- الْجِدَالُ سَبَبُ حِرْمَانِ الْعِلْمِ: ١٣٧
- الْجِدَالُ مِنْ خَوَارِمِ الْمَرْوَةِ: ١٣٧
- الْجِدَالُ يُنَافِي الْأُخُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ: ١٣٨
- الْجِدَالُ سَبَبُ رَفْعِ الْبَرَكَةِ وَذَهَابِ الْخَيْرِ: ١٣٩
- الْجِدَالُ يَفْسُدُ الْعِبَادَةَ أَوْ يَكَادُ أَنْ يُفْسِدَهَا: ١٣٩

- الجِدَالُ سَبَبُ الْهَلَاكِ: ١٣٩
- الجِدَالُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ: ١٤٠
- مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي الْجِدَالِ ١٤١
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ١٤٣
- (السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ) ١٤٤
- حُدُّ الْإِسْتِهْزَاءِ: ١٤٤
- الْفَرْقُ بَيْنَ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ: ١٤٤
- أَسْبَابُ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ: ١٤٤
- مِيزَانُ التَّفَاضُلِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى: ١٤٥
- السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ مِنْ أَخَصِّ صِفَاتِ الْكُفَّارِ: ١٤٦
- السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ مِنْ أَظْهَرِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: ١٤٦
- السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ سَبَبُ نَسْيَانِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى: ١٤٨
- السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ قَدْ تَكُونُ كُفْرًا بِاللَّهِ تَعَالَى: ١٤٩
- جَزَاءُ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ: ١٤٩
- مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ١٥١
- (الْمَنْ بِالْعَطِيَّةِ) ١٥١
- تَعْرِيفُ الْمَنْ: ١٥١
- ثَوَابُ الصَّدَقَةِ: ١٥١
- الْمُتَصَدِّقُ فِي ظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ١٥١
- الصَّدَقَةُ فَكَأَنَّكَ لِرَقَبَةِ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٥٢
- الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ: ١٥٢
- الْمُؤْمِنُ فِي ظِلِّ صِدْقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٥٢
- الصَّدَقَةُ يَتَضَاعَفُ أَجْرُهَا لِصَاحِبِهَا: ١٥٣

- حُكْمُ الْمَرْءِ بِالْعَطِيَّةِ: ١٥٣
- الْمَتَّانُ لَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٥٥
- لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَتَّانٌ: ١٥٥
- الْمَرْءُ بِالْعَطِيَّةِ يُبْطِلُ ثَوَابَهَا: ١٥٦
- الْمَرْءُ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ: ١٥٦
- الْمَرْءُ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ أَسْبَابِ الضَّعِيفَةِ: ١٥٦
- الْمَرْءُ يَكُونُ بِالْعَطِيَّةِ وَبِغَيْرِهَا: ١٥٧
- ***** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ١٥٨
- (الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى) ١٥٩
- تَعْرِيفُ الْحَلْفِ: ١٥٩
- الْيَمِينُ أَفْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: ١٦٠
- الْأَوَّلُ: الْيَمِينُ الْعُمُوسُ: ١٦٠
- الثَّانِي: الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ: ١٦١
- الثَّالِثُ: الْيَمِينُ اللَّعْوُ: ١٦١
- كَرَاهِيَةُ كَثْرَةِ الْحَلْفِ: ١٦٢
- الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ مَحَقَّةٌ لِلرِّبْحِ: ١٦٣
- خَطَرُ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى: ١٦٣
- الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شِرْكٌ: ١٦٤
- مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ: ١٦٤
- الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَنْهِيٌّ عَنْهُ: ١٦٤
- حُكْمُ الْحَلْفِ بِالْأَمَانَةِ: ١٦٤
- مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا: ١٦٥
- ***** مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاةِ ١٦٥

- ١٦٦ (لُزُومُ الْعَبْدِ بَيْتَهُ)
- ١٦٦ فائدهُ لُزُومِ الْعَبْدِ بَيْتَهُ:
- ١٦٦ لُزُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنَ الْفِتَنِ:
- ١٦٧ لُزُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي:
- ١٦٧ لُزُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ:
- ١٦٨ استحبابُ صلاةِ النَّوَافِلِ فِي الْبُيُوتِ:
- ١٦٩ حُسْنُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ:
- ١٧١ مسئولية الآباء نحو أبنائهم.
- ١٧٢ متى تبدأ تربية الأولاد؟
- ١٧٢ **** مقومات التربية السليمة:
- ١٧٣ السعي في إصلاح العبد لنفسه والمداومة على التقوى:
- ١٧٤ غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم:
- ١٧٥ تعويدهم على العبادة منذ الصغر:
- ١٧٦ غرس الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوسهم:
- ١٧٦ الاستئذان:
- ١٧٧ آداب الطعام:
- ١٧٧ عدم خلف الوعد:
- ١٧٨ غَرْسُ عُلُوِّ الْهِمَّةِ فِي نَفُوسِهِمْ:
- ١٧٨ المساواة بينهم في المعاملة والعدل في الأعطيات:
- ١٨٠ الآثار المترتبة على تحلي الآباء عن مسئوليتهم في تربية الأولاد
- ١٨٠ حرمان الجنة:
- ١٨٠ عقوق الأبناء:
- ١٨١ **** من أسباب النَّجَاةِ

- ١٨٢ (وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)
- ١٨٢ تعريف التوبة:
- ١٨٢ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَاضَمُهُ ذَنْبٌ:
- ١٨٢ فَضْلُ التَّوْبَةِ:
- ١٨٢ التَّوْبَةُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ وَدَيْدَهُمْ:
- ١٨٤ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ التَّوْبَةَ وَيَحِبُّ التَّوَابِينَ:
- ١٨٤ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلتَّائِبِ رَصِيدًا مِنَ الْحَسَنَاتِ بِقَدْرِ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ سَيِّئَاتٍ:
- ١٨٥ التَّوْبَةُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ:
- ١٨٦ اللَّهُ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ الْمُؤْمِنِ:
- ١٨٦ النَّدَمُ تَوْبَةٌ:
- ١٨٦ التَّوْبَةُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا:
- ١٨٧ التَّوْبَةُ صَقْلٌ لِلْقَلْبِ وَتَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ:
- ١٨٨ شُرُوطُ التَّوْبَةِ:
- ١٨٨ ***** (وسائلُ الثَّباتِ عَلَى التَّوْبَةِ) *****
- ١٨٩ الأولى: المبادرة بالتوبة:
- ١٨٩ الثانية: الإقلاع عن الذنب:
- ١٩٠ الثالثة: الندم على المعصية:
- ١٩٠ الرابعة: العزم على عدم الرجوع للذنب:
- ١٩١ الخامسة: ملازمة أهل الطاعة:
- ١٩١ السادسة: محاسبة النفس:
- ١٩٢ السابعة: إشغال النفس بما فيه نفعها:
- ١٩٢ ***** عَوَائِقُ التَّوْبَةِ *****
- ١٩٣ التَّسْوِيفُ:

- مداهمة المرض: ١٩٣
- ترك التوبة خوفاً من لمر الناس..... ١٩٥
- ترك التوبة مخافةً سقوط المنزل وذهاب الجاه والشهرة. ١٩٦
- التمادي في الذنوب اعتماداً على سعة رحمة الله. ١٩٦
- الاغترار بامهال الله للمسيئين. ١٩٦
- الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي. ١٩٦
- ***** مِنْ قَصَصِ النَّائِبِينَ ١٩٧
- تَوْبَةُ الْعَامِدِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ١٩٨
- تَوْبَةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ١٩٩
- توبة كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: ١٩٩
- تَوْبَةُ أَبِي مُحَجَّنٍ رضي الله عنه: ٢٠٣
- تَوْبَةُ الْكَفْلِ: ٢٠٤
- تَوْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ٢٠٤
- تَوْبَةُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: ٢٠٥
- تَوْبَةُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ: ٢٠٦
- *****أثر ترك التوبة..... ٢٠٦